

ست نساء وستة رجال

بواسطة الشيخ عبيد



ست نساء وستة رجال

يوسف السباعي

يطلب من مكتبة مصر
٣ كامل صندوق - الفجالة

مقدمة

اليكم ست نساء وستة رجال ٠٠ تنمة للاثنتى عشرة امرأة والاثنتى عشر رجلا ٠ وبقية من هؤلاء وهؤلاء لم يتسع لها الكتابان السابقان ٠ وانى لأذكر عقب ظهور كتاب اثنتى عشرة امرأة أن كتبت الدكتورة ابنة الشاطيء فى نقد الكتاب تقول ما معناه : إنه كان أولى بى أن أقصر كتابتى على الرجال لأنى كرجل أدرى بفهم مشاعرهم وتحليل نفوسهم ، وأنه كان يجب أن أترك الكتابة عن النساء لواحدة منهن لأنها أعرف بخباياهن وأعلم بأحاسيسهن ٠ وصمت حينذاك ٠ ولم أحاول المكابرة وقلت لنفسى ٠٠ من يدرى ٠٠ ربما كانت على حق ٠ ثم أصدرت بعد ذلك كتاب اثنتى عشر رجلا ٠٠ فأقرته فى نقدها ٠

وكان الأولى بى بعد هذا ألا أعود الى الكتابة مرة ثانية عن النساء ، وألا أتبع الاثنتى عشرة بست آخر ٠ ولكنى مع ذلك غامرت بإصدار كتابى هذا ٠٠ لأنى أشعر فى نفسى انى قد أكون أكثر فهما للنساء من أنفسهن ، وأن التجارب تجعل من الرجل أحيانا مرآة تنعكس عليها صور النساء فتبديهن أكثر وضوحا من الاصل ٠ بل أن المرأة نفسها لا أظنها - بغير انعكاسها على رجل - تصبح شيئا

حيا جياشا بالاحاسيس ، مفعما بالمشاعر • وقصة المرأة •• لا تكون
الا والرجل في حناياها ، وكذا قصة الرجل لا تنمى الا والمرأة
-نساها • فان كتبت عن ست نساء فانا اكتب ضمنا عن ستة رجال •
وان كتبت عن ستة رجال فلا اظننى استطيع ان امنع ستة النساء من
التسلل وحشر انفسهن بين السطور •

وثمة شيء اخر شجمنى على الكتابة عن النساء •• وهو ان
الدكتورة ابنة المشاطىء نفسها •• كتبت الى رسالة خاصة بعد ان
قرأت « انى راحلة » تقول : انها كانت تنتقد فيما سبق كتابتى عن
النساء واقرأطى فى الكتابة •• ولكن بعد قراءتها لهذا الكتاب وجدت
اننى استطيع ان اكتب عنهن كما اشاء • وان افرد فى الكتابة كما
اشاء •

وبعد •• اترك الحديث للدسنة الجديدة تتحدث عن نفسها •

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

« يوسف السباعي »

٦ شاء

امراة مغرورة

اجل يا اخت الروح ، لقد كنت ثرية ارسقراطية
فى بلد المظاهر والغرور .. وكنت اسيلا بين الناطقين
بالضاد .

الم اقل لك .. كنت فى السماء .. وكنت فى الارض ؟

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك

أما الصبر يا توأم الروح فقد استعصى وتعذر .
يوم وليت .. ولى .. وساعة ودعت ودع .. وما عاد يغنى عن
فرقتك صبر ، أو يفيد فى بعدك عزاء .

أما السر الذى استودعك .. فبرغمى يا حبيب يذاع .
انا ان كتمت فى نفسى الجوى .. وحبست فى صدرى اللوعة ..
فما أستطيع كتم أنفاس تستعر ، وزفرات تلتهب .
إذا حبست الدمعة فى المآقى ، انطلقت الآهة من الحنايا ؛ وإذا
حبست الآهة .. انسابت الدمعة .

وكيف أعيش يا حبيب الروح بعدك بغير آهة ، وبغير دمعة ؟
 السر الذى استودعتك .. ذائع يا حبيب برغمى .. قتم عنه
 الآهة ، وتفضحه الدمعة .. وبين الدمعة والآهة ، يتململ اللسان
 ويتلطف على أن يفضى به ويوح ..
 وبين التلملم واللفظة .. أتركه ينطلق ..
 أفلا أقل من عود الى الذكرى ! هى عزاء الى حين !



لقيتك يا حلوة وبيننا ما بين السماء والأرض .. أنت فى السماء ،
 وأنا فى الأرض .. مجازا وفعلًا .. أى والله .. كل الظروف التى
 أحاطت بنا فى أول لقاء ، جعلتك سماوية وجعلتنى أرضيا ..
 كنت تتبوهين احدى مقصورات سباق هليوبوليس ، كما يتبوا
 للقمر اريكة السماء .. وجدت بينك وبين القمر شيئا شديدا ..
 اذا اشرق احكما لم ينافسه فى سمائه كوكب ، تنساب منه الأشعة
 زطبة ندية ، تغرق العباد بنور بلا حر ، ونشوة بلا خمر ..
 وكنت أنا من عباد الله الذين يتقاسمون النور ويتشاركون النشوة ،
 قانعين ناعمين ، متجولين فى الأرض .. أرض السباق الحافلة
 العامرة ، غادين رائحين بين « بادوك » الخيل وبين مدرجات السباق ،
 حائرة عيونهم .. بين الجياد وبين الخرد الفيد ..
 وهكذا كان احسنا فى السماء ، والآخر فى الأرض .. شكلا
 ووضعًا وفعلًا .. أما مجازا فقد كان بيننا أيعد مما بين السماء
 والأرض ..
 كنت نبيلة ثرية أرستقراطية بكل ما فى تلك الكلمة من معان ..
 وكنت .. ماذا كنت ؟

ماذا أقول ؟ .. وأنا لما عرفت فى يوم من الأيام من اكون ؟
 كاتب والديب ؟

لو كنا فى غير هذا البلد ، لقلتها بملء قصى ، ولانتصرت أن يحنى
لى الناس هاماتهم تحية واجلالا ٠٠ أما هنا والأديب المجرى لا يعرف
كيف يأكل عيشه ٠٠ أما هنا والبلد يعترف بالجزار والبدال والللحاد
والكناس ، كاصحاب مهن ٠٠ ولا يعترف بالأديب ٠٠ أما هنا والأديب
لا يجسر أن يكتب على بطاقته « أديب » فكيف أقول انى أديب ؟

ومع ذلك فلا مناص من الاعتراف بها -

لأننى فعلا ٠٠ لست سوى ذلك -

أجل يا أخت الروح ، لقد كنت نبيلة ثرية أرسقراطية فى بلد
المظاهر والغرور ٠٠ وكنت أديبا بين الناطقين بالضاد -

الم أقل لك ٠٠ كنت فى السماء ٠٠ وكنت فى الأرض ؟

وكان أحرى بى فى ذلك اليوم ، أن أنصرف عنك كما أنصرفت من
قبل فى كل مرة لمحتك فيها من بعد ٠٠ وأن أنشد لنفسى ذلك القول
الذى أعزى به عنك نفسى كلما لقيتك :

« لا ترفعا أنصرف عنك ولا كبرياء ، ولا جحودا عن حسنك
ولا جفاء ٠٠ بل ان جبار اليأس قد خرج بفؤادى عن دائرة نفوذك
وعلا به على بسطة سلطائك -

أيتها الغادة : كل ما فى الوجود ينوب فى الحاظك الا يأسى فانه
كالثلج الجامد على راس الطود تغارله أشعة الشمس طول الأبد
فلا يشعر -

وقفت منى على قيد خطوتين وبينى وبينك ما بين ابليس والرحمة
٠٠ فكاننا نجمان تجاورا فى عين الناظر وبينهما بعد السماء عن
الأرض وكأنك تنظرين الى ميت ، يفصلك عنه الوقت ، والوقت
ما لا يقدر ، -

كان حريا بى أن أنصرف عنك بهذا القول ، لولا أن أتاح الله لى

من رقتني عن وهاد الأرض الى علياء السماء .. فاذا بي أجد نفسي
 في غمضة عين أجلس بجوارك .
 لقد صعدت الى السماء .. بغير فعل خارق .. لا موت ،
 ولا معجزة .. بل كانت المسألة أبسط مما أتصور .
 رأيت في مقصورتك زميلا قديما من أبناء الذوات .. كان يجاورني
 في احدى سنوات الدراسة ، ورفع يده لي محيا عندما التقى بصرانا
 وأشار الى بالصعود .
 ولم أتردد ثانية رغم ادعائي الترفع والاباء ، واحتقار هذه الطبقة
 من أبناء الذوات .. بل شققت طريقى بين الأجساد المتراسة حتى
 وصلت الى المقصورة .
 وتصافحنا ودعاني الى الجلوس فلبيت الدعوة وقام بدور
 التعارف بينى وبينك ، فأحيت رأسك احناء تكاد لا تحس ومنحتني
 نظرة بطرف عينيك .
 ومع ذلك فما أحسست بخذلان ولا ضيق ، فقد كان جلوسى على
 مقربة منك كاف لى يجعلنى أغض الطرف عن كل إهمال منك .
 أو اعراض .
 كنت أحس بنشوة ممتعة ، نشوة أطاحت بذلك اليأس الذى كان
 يخيم على نفسى كلما لمقيتك أو نظرت اليك .
 وانتهى شوط السباق الدائر وقتذاك والذى كان يسترعى كل
 التفاتك ، والذى جعلك تلقييننى بذلك الإهمال والاعراض لقطعى عليك
 استغراقك فى مراقبتى . ثم وجدتك تضعين النظر بجانبك وتصفين
 بيديك طربا . . . وقلتقين: الينا صائحة وقد استخفك الطرب :
 - برافو .. هذه أول مرة أكسب فى هذا الرسم ، لقد كان حظى
 سيئا من أوله ، ولكن هذا المكسب سيعوض لى كل الخسارة السابقة ،

فما من أحد قد لعب هذا الحصان ، انه « أوتسيدر » ، ويبدو لى أن
الريال سيأتى بعشرة جنيهات •

ثم نظرت الى ووجهت لى الحديث :
- ان وجودك سبب لى حظا سعيدا •• يجب أن تبقى معنا الى
نهاية السباق حتى أستمر فى الريح •

وكان الأمر الطبيعى أن يسعدنى قولك هذا ، ولكنى - وأنا مخلوق
غريب لا أفهم نفسى فى كثير من الأحيان - وجدتنى أصاب منه بضيق •
وقد يكون السبب الأول لهذا الضيق هو أنك قلت كل حديثك
باللغة الانجليزية الجيدة السليمة النطق •• أما السبب الثانى فهو
احساسى بأننى أصبحت عندك مجرد تعويذة تجلب لك الحظ •

أما عن السبب الأول فقد ضايقتنى لأنه سبب لى يأسا جديدا ، فقد
وجدت سلاحى الوحيد الذى كنت أمل فى أن أغزوك به ، وهو سلاح
التفوق فى الكتابة والأدب ، قد قل وأصبح لا يجدى معك •• فقد
أدركت من لهجتك فى الانجليزية ، أنك لا تستطيعين الحديث بالعربية
•• بله قراءة أدبها •

وأنا رغم ما قلت عن ضياع قيمة الأدب فى هذا البلد ، شديد
الاعتداد بنفسى - على الأقل فيما بينى وبين نفسى - كأديب •• شديد
الغرور ، شديد الثقة ، أحترم نفسى ككاتب أكثر مما أحترمها كإلى
شئ آخر - وقد يكون هذا هو ديدن كل كاتب وأديب - وأشعر دائما
أن سلاحى الأول فى التفاخر والزهو هو كتابتى وأدبى ، رغم أنها
أشياء لا تقدر كثيرا فى هذا البلد •

وهكذا خذلت عندما وجدت أن بينك وبين أدبى حجاب كثيف من
جهلك باللغة العربية ، ولم يعد لدى أى أمل فى أن تكونى قد قرأت
لى ، أو سمعت بى •

أما عن ضيقتى لأننى شعرت أنك قد جعلتنى تعويذة ، فقد كان

مرجعه أيضا الى ذلك الغرور الذى أحسه فى نفسى • فرغم يأسى
منك واحساسى بالمدى الشاسع بينى وبينك •• كنت أود - اذا
ما التقينا - أن تجسدى فى ميزة فى الشكل أو فى الخلق أو فى
الثقافة ، أكثر من ميزتى كتعويدة تجلب الحظ •

وبعناد الحمقى المغرورين ، وجدتنى أنهض لأنصرف •• ورغم
الحاحك على بالبقاء سمعت على مغادرتك مدعيا أنى على موعد •
وتركت السباق سائرا على قدمى وسط آلاف العربات المكسدة •
أمام الميدان •

وعندما خلوت لنفسى بعد ذلك ، عجبت لما فعلت واتهمت نفسى
بالجنون •• كيف تلحين على بالجلوس معك فأرفض ؟
كيف يحدث منى هذا ، وأنا الذى لا يسعدنى فى الحياة أكثر من
نظرة اليك من بعد ؟ وماذا ضايقتى منك ؟

حديثك بالانجليزية ؟ وما ذنبك ، وأى جريمة فى ذلك ؟
وماذا أغضبنى من قولك أنى جلبت لك الحظ ؟ ألم يكن هذا خيرا
من أن تقولى أنى جلبت لك سوء الحظ ؟
وماذا كنت أنتظر منك ؟ أتستبقينى لأن جمالى قد سحرك ، وأنه
لا تطيقين فرقتى ؟

يا لى من غر أحمق مأفون ! • لقد أضعت فرصة العمر ! •
وقضيت ليلتى حزينا يائسا ، وظللت مغرقا فى الضيق ، حتى
ظهر اليوم التالى عندما تبين لى أن فرصة العمر لم تضع بل هى مقبلة
مؤكدة ، فقد أنبأنى صاحب الجريدة التى أعمل بها أنه قد وصلته
دعوة لاهدى حفلات الفروسية وسألنى أن أذهب مندوبا عن الجريدة •
ولم أتردد فى القبول ، فقد كنت أعلم أن مثل هذه الحفلات
لا تفوتك ، ووجدت الفرصة قد تسنح للقائك ، والحديث معك ••

لا سيما وأنتك بلا شك ما زلت تذكريننى من لقاء الـامس وتذكرين أنى
أجلب لك الحظ .

ولقيتك هناك وأسعدنى الحظ بالجلوس بجوارك فى حفلة الشاي
التي أقيمت فى النهاية .٠٠ ودار بيننا الحديث فعرقت من أنا وماذا
أعمل ، ولم تبخلنى على ببعض كلمات الاعجاب بالأدب والآداب رغم
أنك لم تقرئى لى .

ولا اكذبك القول .٠٠ أن هذه الجلسة بيننا كانت بداية احساس
جديد لك فى قلبى ، فقد تبينت خلال الحديث معك أنك مخلوقة
متواضعة لطيفة ذكية رقيقة .

وقلت لى أنك قرأت ربايعات الخيام بالانجليزية .٠٠ وأنتك ترغبين
فى قراءتها بالعربية .٠٠ فوعدت باحضارها اليك .

وهكذا بدأت الصلة تتوطد بيننا بواسطة عمر الخيام ، فقد
أحضرت لك الترجمة العربية ، ولكنك لم تفهمى منها حرفا واحدا ،
فتطوعت بقراءتها وشرحها لك .

وبدأنا جلساتنا فى خلوات معتمة هنيئة ، خلوات ملؤها الشاعرية
والأوهام اللذيذة والحلم الجميل وأخذت أشرح لك :

غرد الطير فنبهه من نعل

وأدر كأسسك فالعيش خلس

سل سيف الشمس من غمد الغلس

واثبرى فى الشرق رام أرسل

أسهم الأنوان فى هام القلاع

واقبل كل منا على صاحبه بلهفة ونهم .٠٠ أنا بالقراءة والشرح
واستراق النظر الى وجهك الساحر الوضاء .٠٠ وأنت بالاستماع
والشروء والذهول .

وكنت أسير فى طريق حبك بسرعة الصاروخ .٠٠ حتى بلغت

تهايته .. وبدا لى أنك لا شك سائرة فى نفس الطريق وأننا سنلتقى
فى النهاية ويفضى كل منا بمشاعره للآخر .

ولكنك نكصت على عقبك فجأة قبل أن تبلغى النهاية .
لست أدري لم ؟

أتراك لم تنظري قط الى المسألة على أنها مسألة حب جاد وأنك
كنت تبسليين بى وباليخيام .. وأنت كنت تضيعين بعض الوقت فى شيء
جديد عليك ، وأنك سرعان ما مللته ؟

هل كنت لديك مجرد نوع من التغيير ؟
الله وحده أعلم .

أما الذى أعلمه .. فهو أنك بدأت تخلفين المواعيد .. وبدا لى
أنك تتهرين من لقائى .

وأخذت - بدافع الحب الجنونى - ألحف فى الرجاء والحب فى
محاولة اللقاء ، حتى صدمت منك صدمة ردتنى الى صوابى وأعدت
الى كبريائى وذكرتنى بكرامتى .

كان ذلك فى حفلة ساهرة طال بنا السهر فيها .. حتى رأيتك
لأول مرة .. ثملة قترنحين .. وسمعتك تصيحين بى ساخرة :
- لم لا تثقل علينا بأشعارك أيها الأديب ؟

ثم التفت الى الجمع الصاخب ، وأردفت بنفس اللهجة الساخرة :
- هذا الأحق المسكين كان يحاول أن يوقعنى فى حبه بقراءة
الشعر .. تصوروا هذا .. تصوروا .. أنى أحب هذا المغرور
السانج .

ولست أنكر أنى ضربت امرأة فى حياتى قط .. حتى ولا خادمة
.. ولكنى وجدت مراجلى تغلى بالغضب .. ووجدت كل ما بى من
حلم وهوى ورقة طبع يتبدد فلا يضحى له أثر .

ولم أشعر الا ويدي ترتفع وتهبط على وجهك الجميل النبيل بصفعة
مدوية •

وغادرت المكان مرتجفا من الغضب تاركا الجميع مفترقين فى
الصمت والدهش ، وعندما وصلت الى البيت ارتعيت على الفراش
منهارا •• كنت أشعر بحزن شديد •• فقد عزت على نفسى أن تهان
بين طبقتك الوضيعة •• العالية اسما ، الوضيعة فعلا •

لقد كنت أشعر أنى المسئول عما حدث فقد كان أولى بى الا أزعج
بنفسى فى وسطك الفاسد المغرور •• وأن أربأ بها عن الهوان بين
هؤلاء الرقعاء المختئين •
يا للحق والغباء !

كيف صور لى الوهم •• أنك شاعرة مرهقة الحس •• وكيف
أضعت وقتى فى قراءة ما قرأت وشرح ما شرحت ؟ ومرت الأيام بعد
ذلك وأنا أحاول تضميد جراحي •• جراح القلب المطعون ••
والكبرياء المهيضة •

وحاشاى أن أزعج أنى ضعدت جراحي ببساطة •• وأنتى لفظتك
بسهولة •• أو لفظ النواة •

لقد كانت عملية نسيانك واحتمال هجرك شاقة مضنية •• ولكنى
تحملتها بجلد •• حتى كدت أنساك •

ولكنك عدت تنكئين الجرح •• وترسلين لى مع بعض الأصدقاء
من يخبرنى أنك قودين رؤيتى •

وبدا لى أنك تحاولين الثأر •• وأنت مصممة على رد الصفعة
التى هويت بها على خدك النبيل فى تلك الليلة •• فلم أرد أن أعطيك
الفرصة •• وصممت على ألا ألقاك قط •

وعادت الوساطة فى الرجاء •• فزادت بى الشكوك وأيقنت أنك
لا بد معدة العدة لرد الصفعة ، فزدت الحاحا فى القطيعة •

لقد كنت أعتبر كل ما بيننا قد وصل الى نهايته وأنه لا فائدة في
أن أمل في مثلك خيرا بعد ما كشفت عن نفسك •
وبلغنى بعد ذلك أنك مريضة وأنك تطلين أن أحضر لك رباعيات
الخيام لأقرأها لك •
وضحكت ساخرا •• ورددت على من أبلغنى بذلك الرد الشهير
الساخر « تانى !!! » •
لقد كنت مصمما على أن أقلب حبنى لك كرها •• وكنت أحس أنى
أفلحت فى ذلك •
حتى واصلتني منك رسالة •• قلبت مشاعرى رأسا على عقب ••
فتحت الرسالة فإذا بها مكتوبة بالانجليزية وإذا بها ما يلى :

»
أعذرنى اذا ما كتبت اليك بالانجليزية •• فانى أريد أن أكتب لك
أشياء دقيقة •• لا أظننى أستطيع أن أعبر عنها باللغة العربية ••
وليس الذنب ذنبى اذا لم أستطع ذلك •• بل ذنب أولئك الذين علمونى
•• وجعلونى بطريقة تعليمهم أشبه بأجنبية غريبة فى بلدى •••
أجل •• ان الذنب ليس يذنبى •• وليس أدل على ذلك من أن تعرف
أنه عندما ترك لى الأمر •• أنى أقبلت على قراءة العربية ••• وأننى
رغم ضالة معلوماتى فيها •• قد قرأت جميع مؤلفاتك بها •• وليس
أسهل على من أن أثبت لك ذلك •• فأسرد لك رأى فيها وملاحظاتى
عليها ••

ولكن لا أظن هذا وقته •• بل يكفى أن تصدقنى وتثق فى قولى ••
والا ذهب كل كلامى سدى •• وضاعت محاولتى أدراج الرياح •
انى أريد منك الثقة بى وتصديق كل ما أقول •
ولن يزيد ما أقول عن بضع كلمات :
انى أحبك •• وأريد أن أراك ••

راقدة كما أنا مشجاة على فراش المرض .. وبجوارى كوم مكس
من كتبك التى التهمتتها واحدا .. واحدا .. وأنا التى كنت اكاد
لا أقرأ الصحف والمجلات .

راقدة .. متعبة .. منهكة الأعصاب .. خائرة القوى .. قد
ألح على المرض .. لا يكاد ذهنى يذكر سواك .. ولا تكاد عيني
- مفتوحة أو مغمضة - تبصر غيرك .

لست أدرى .. كيف حدث لى هذا ؟

أهى كتبك .. وطريقة تفكيرك .. وفيض مشاعرك ؟

أهو المرض الملح الذى تركنى أشبه بالصرعى ؟

أهى الذكريات الحلوة الهائنة الشاعرية ؟

أم تراها الصفعة التى ادमित بها خدى وأعدتني بها الى صوابى ؟

لست أعتب عليك .. فقد تقادمت مرحلة العتاب .. وبات كل

ما أحسه لك .. لهفة عليك .. وحنينا اليك .

لقد صنعت منى مخلوقة جديدة .. أو أعدتني الى معدنى الطيب

وأزلت من نفسى شوائب الوسط الخبيث الذى أحيا فيه .

نفسك الطيبة ، وخلقت القويم ، وكتابتك العجيبة ، وصفعتك

وهجرك .. كل ذلك صهرنى وطهرنى .

انى أحبك .. وأريدك .. لنبدأ معا عهدا جديدا .

ولا أظنك تخذلنى .. وأنت الرفيق الكريم .. بعد كل ما قلت لك .

أرجوك .. تعال ..



ولم أخذك .. فقد صفحت عنك وسعيت اليك بعد أن أذابتنى

رسالتك ، ولكنك أنت التى خذلتينى فرحلت ، قبل أن أصل .

لقد أودت بك العلة ، فلم تمهلك حتى أراك .

لقد تعجلت الرحيل يا منية النفس .. فلم تنتظرى حتى تسمعى

استغفارى وتبجبرين ندمى على عنادى وعلى هجرى .. لقد دعوتنى
للمجىء .. فماذا كان عليك لو انتظرت وصولى ؟
فيم التعجل .. يا حلوة الروح .. وانت الداعية للهفى
المتشوقة ؟

والى أين يحملونك هؤلاء القساة الغلاظ الأكباد ؟
أهكذا بت لا أملك لك الا خطوات قصاراً .. أسيرها وراءك وسط
هذا الحشد من الباكين ؟

أهكذا لا يملك عايدك الا جلسة صامتة أمام قبرك .. يكتم لوعته
ويحبس دمه .. ثم يعود فى بهمة الليل كالأشباح السارية مستغفرا
نادما .. يحرقه الشوق .. ويلهبه الأسى ..

يقرع السن على أن لم يكن زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

امراة مخدوعة

اهكذا تتطايير المبادىء والاخلاص ، فى غمضة عين ،
امام جسد عار وجيفة نكتة ؟

اهكذا الرجال كلهم كالكلاب مهما حسن نوعهم وكرم
اصلهم .. لا يتورعون عن أن يدسوا اتوقفهم فى اقرب
كوم للقمامة يلوح لهم ؟

سيدى العزيز :

من مجبرى من ياس قاتل وخذلان مميت ؟

- انى اكتب اليك ، ويجسد رجة وبقلبي حرقه .. ولا ادري وانا
اكتب ، لم اكتب ، ولا ماذا ساكتب .. ولكن يبدو لى أن الكتابة قد
تسكت الرجة وتطفىء الحرقه ، ولو الى حين .

دعنى أسالك .. بسؤالاً يدور فى رأسى ، ويلج على نفسى .
سؤالاً .. يخيل الى أن على الاجابة عنه يتوقف تقرير مصيرى وتغيير
حاضرى ، واختيارى للسبيل الذى سأسلكه فى مستقبل حياتى .

أجبنى بصراحة . أجبنى كرجل .. مجرد رجل .. دع عنك
فلسفة الكتابة ، ودع التعقيد والالتواء .. قل لا ، أو نعم .

هؤلاء الرجال ٠٠ هل كلهم من نفس المعدن الخبيث ، والطينة
القدرة ٠٠ ؟

لا تثر ولا تغضب فتندفع لتدافع عن جنسك ٠٠ الجنس الوضع
الحقير ٠٠ الوالع في كل اناء ، الناهش من كل جيفة ، الشارب من
كل مستنقع قدر ، الطماع الخداع ، الخائن الأشر ٠

لا تندفع فتقول لا ٠٠ ولا تصيبك الحمية فتزد على سبابي بأقذع
منه ٠٠ فما قصدت به سبابا ٠٠ بل هو مجرد وصف ٠٠ لم أجد
خيرا منه ٠٠ لأصور نظرتي الى جنسكم ٠ الجنس السافل !

قبل أن تجيب استمع الى قصتي ، وافهم لم أسأل سؤالي هذا ؟٠٠
وتأكد أنني لا أتعنى في حياتي شيئا أكثر من أن تجيب بلا ٠٠ وأن
تقول لي ٠٠ انه ما زال على الأرض من بين هؤلاء الرجال من هو
أطيب معدنا وأنقى طينة وأن هذا هو كل ما بقي لي من أمل في
الحياة ، ورجاء في المستقبل ٠

تبدا قصتي بداية عادية جدا كما تبدا قصة كل زوجة ٠٠ رزقها
الله - كما يقولون - بالعدل ٠٠ ووفقها الى زوج طيب ٠

ولست أريد أن أخضع الوقت في سرد تفاصيل لا أشك في أنها
ستنطبق على المئات ، بل الألوف ، من الزوجات غيري ٠٠ والتي
لا أظنها تعطيني طابعا مميزا ، ولكن يبدو لي أن من الخير أن أعطيك
كروكيا سريعا يعينك على تقدير موقفى وفهم مشاعرى ٠

أنا ابنة أحد موظفى الحكومة ٠٠ موظف يعتبر الى حد ما كبيرا
٠٠ وأن كان دخله اذا ما قورن بعدد أفراد أسرته الغنية بالأبناء
لا يكاد يجعل منها أكثر من أسرة متوسطة تقطن في شقة بالايجاز ،
وتصرف الدخل عن آخره بين الملابس ومصاريف المدارس ، واللحمة ،
والخضار ٠

وكان سوقنا - أنا وأختى - فى الزواج رائجا ٠٠ فقد كنا نتمتع

بكل مواهب الزواج من سمعة حسنة ، ومظهر جميل ، وعائلة طيبة ،
وأب ذى مركز محترم •

وهكذا تسربنا ، مع العرسان ، الواحدة تلو الأخرى ، وخرجت
بدورى مع رفيق العمر تاركة دار أبى الى حيث أضحيت أنا نفسى
رية دار •

ولا اكتمك القول •• انى لم أر فى زوجى فى بادئ الأمر مايسمونه
فتى الأحلام ، ولم يصادف منظره هوى فى نفسى ، ولكنه مع ذلك
كان - على بعضه - مقبولا •• وكانت مجموعة مزايا لا تدع مجالا
لفتاة مثلى فى التردد فى قبوله •

كان شابا ذا شهادة عليا وذا عمل حكومى يتناسب مع شهادته
•• متوسط القامة ، نحيل الجسم ، أسمر البشرة ، ليس به ما يلفت
وليس به ما ينفر •• بادى الهدوء والسكينة ، أميل الى الصمت
والاطراق والحياء •• وعندما سأل أبى عنه أنبئ بأنه نموذج لحسن
السير والسلوك •

هكذا كان زوجى عندما قررنا قبوله •• وعندما خرجنا من الدار
معا لنبدأ حياتنا المشتركة •• ولم أكن وقتذاك أحس بفرحة مطلقة ••
بل كانت قرحتى قلقة متشككة مما يخبئه لى الغد المجهول ، وكان
يتملكنى شعور المطبقة بيدها على « يخت » توشك أن تفتحه لتترى
ما به •• لا فرق بينى وبينها سوى أنى كنت أنتظر الأيام لتفتح لى
بختى •• وترينى أى مخلوق قد ساقه القدر الى لأشد نفسى معه ••
وأقرن حظى بحظه ، ومستقبلى بمستقبله مدى الحياة •

وبدأنا الحياة معا ، فى شقة فى إحدى عمارات مصر الجديدة
القائمة على أطرافها والتي لا تزيد شققها على ست أو سبع ••
وأخذنا تنسق الأثاث فى الغرف ونرص الأصص فى الشرفات حتى

بدت الشبكة المتواضعة ذات الثلاث غرف وكأنها قصر منيف ،
واحسست فيها بحلاوة الاستقرار والهدوء •

ومرت بى الأيام تحمل لى مزيدا من هدوء ومزيدا من استقرار ،
وتكشف لى البخت المخبأ •• يملؤنى رضا وهناء •• وبت أشعر أنى
امراة موفقة سعيدة الحظ •• فقد وجدت فى زوجى انسانا لا تطمع
المرأة فى خير منه •

لقد غير الزواج تطرتى فى الزّوج •• فقد كنت - وأنا فتاة - أرى
الزوج المثالى فى رجل طويل القامة ، عريض الصدر ، حلو التقاطيع ،
جذاب الملامح •• كنت أراه خليطا محببا من نجوم السينما •• يملك
عربة فخمة يجلسنى فيها بجواره •• ويحملنى بها كل يوم لنجوب
الطرقات حتى يستقر بنا المقام فى بقعة خلوية تنتاجى فيها وتبادل
أحاديث الهوى •• ثم يعود بى فى النهاية الى فيللتنا الانيقة المليئة
بالخدم والحشم •

تلك كانت أوهامى ، وأنا فتاة أحيا على عذب الأوهام ، فلما
تزوجت علمتنى التجربة أن أوهامى كانت عبث صسبية وأرتنى أن
الزوج المثالى شىء آخر لا صلة له بما كنت اتخيل ، وأنه لا ضرورة
هناك لأن يكون عريض الصدر ممدود القامة ، ولا ضرورة أن يكون
صاحب عربة أو صاحب فيلا ، بل أهم من ذلك كله •• أن يكون شريكا
جيدا •

ان الزوج المثالى هو الشريك الذى يقوم بنصيبه فى الشركة
الزوجية خير قيام •• ولا أظن أن هناك شركة يمكن أن تفلح أو يقوم
لها بناء على غير الحب والوفاء والثقة المتبادلة ، وحسن التفاهم •
ان الزوجة بعد الزواج لا تتأمل كثيرا تقاطيع زوجها ، ولا تقضى
الساعات فى قياس طوله أو عرضه •• ولكنه يسفدها جدا أن يدخل
عليها الزوج ببسمة حلوة ووجه بشوش ، وأن يشعرها انه لم ينس

التوافه التى طلبتها منه ، وأن ينظر اليها بعين الرضا .. كأن الأرض
لم تنبت خيرا منها !

يسعد الزوجة أن يكون هناك توافق فى المشارب بينها وبينه ..
وأن يكون هناك تماثل فى الطباع ، وأن يحب ما تحب ويكره ما تكره ..
إن الزوج المثالى هو الذى يجعل من زوجته وبيته بغيته فى
الحياة .. والذى يشعر مخلصا أنهما خير ما يسبب له السعادة
والهناء .. فهو يقصدهما قريرا راضيا .

الزوج المثالى هو الذى لا يفور ولا يشور لتوافه الأمور ، والذى
يتفاضى عن هنات الدار ويلتمس الأعذار :

هكذا أضحى الزوج المثالى فى نظرى .. بعد أن تزوجت .
وهكذا أيضا كان زوجى .

أفلا يحق لى أن أحمده الله وأن أعتبر نفسى امرأة سعيدة الحظ .. ؟
ومن طبيعة الانسان فى هذه الحياة .. أن يتعود منها الشيء
الطيب حتى يضحي لديه غير ذى قيمة .. وأن يتعود النعمة فلا يعود
يحس بها نعمة .. بل يراها أمرا طبيعيا .. ولا يعود يشعر منها بلذة
النعمة .. ولا يفكر قط فى أن يحمده الله عليها ، بعد أن اعتادها حتى
نسيتها .

ولكنى لم أكن كذلك .. لا لميزة فى عن بقية البشر .. بل لأنى
كنت أجد دائما ما يذكرنى بما أنا فيه من نعمة .. فلم أعتدها ولم
أنسها قط .

إن المقارنة هى الأصل فى احساسنا بالمتعة أو الشقاء ، فنحن
إذا أحسسنا بالشبع ثم رأينا كل من حولنا شبعان لم نحس كثير
متعته .. وإذا أمسكنا رغيفا ووجدنا مثله فى يد كل انسان .. لم

نشعر بميزة الرغيف ، ولكننا اذا ملكنا الرغيف ورأينا الناس حولنا
يتضورون جوعا ويتلففون على الكسرة ... أحسنا بنعمة الرغيف
... وعرفنا قيمته .

ان ثوب البقعة الذى ترتديه قد نحس به نعمة ... وقد نحس به
نقمة ... وقد لا نحس به ... انا نراه نعمة لو خففنا البصر الى
غيرنا من الحفاة العراة ، ونقمة لو رفعنا البصر الى لابسى الخز
والديباج ... ولا نحس به أبدا لو نظرنا الى سوانا من لابسى البقعة
والدمور .

ولقد كنت دائما أحس ... أنى كاسية وسط عراة ... وريانة بين
ظلمى ... كنت أحس أنتى وحدى صاحبة الرغيف ... وغيرى يتضور
جوعا ... أو يتعلل بالفتات .

كانت الظروف المحيطة بى تبعثنى على أن أحسد نفسى فقد كانت
أحدى أختى تقضى معظم حياتها غضبى فى منزل أبيها ، فقد كان
زوجها انسانا تفورا عصيبا سخيلا نكديا ، أما الثانية فقد استقر
بها المقام فى بيت أبى فعلا ... بعد أن أبت العودة الى زوجها ، لفرط
ادمانه على الخمر والميسر ، ولأنه لا يعود الى داره الا قبيل الفجر .

ولم يكن هذا وحده هو مستوى المقارنة الذى أقيس اليه حياتى
الزوجية الهادئة الناعمة القريرة ... بل كان هناك مستوى أقل منه
انخفاضا وأكثر سوءا ... وهو مستوى الجيرة التى أعيش فيها ،
أو على وجه أدق قاطنى العمارة التى أسكنها .

كانت الأسرة الأولى من الأربع أسر التى تقطن العمارة : تقطن
الشقة الأولى من الطابق الأول ، وكانت تتكون من قاض وامراته ...
وأشك كثيرا فى أنهما كانا متمتعين بأى نوع من السعادة الزوجية
والهدوء المنزلى .

وكانت الأسرة الثانية تقطن فى الشقة المواجهة ٠٠ وربها مدير
مستخدمى احدى الوزارات ٠٠ وهو متهم دائما من زوجته - ان
صدقا وان كذبا - بأنه يوشك أن يتزوج امرأة أخرى .

أما الأسرتان الباقيتان ، فاحدهما تقطن أمامنا فى الطابق الثانى
والأخرى تقطن فوقنا فى الطابق الثالث .

كانت احدهما ، وهى التى تقطن أمامنا ، مكونة من محام شاب
يمت الى زوجى بصلة قرابة ٠٠ وزوجة لعوب براقاة فاتنة ٠٠ تعمل
يسليقتها الى الخلاعة والتبهرج .

ولم يكن هناك رجل من أهل العمارة لا يبادلها البسمات والتحيات
سوى زوجى ٠٠ فقد كان يشمئز من مراها ٠٠ وكان يود لو استطاع
أن ينصح قريبه حتى يردعها أو يطلقها ، فقد كان يراها وصمة فى
جبين العائلة وجرثومة فتاكة .

ولكنى كنت أصدده عن رغبته وأرجوه ألا يتدخل فيما لا يعنيه .
كنت أقول له هذا ٠٠ عن اعتقاده جازم ٠٠ فقد كنت أحسن النية
بالمرأة ٠٠ حتى بدأت أحس ذات يوم بأنها جادة فى عيبتها ٠٠ وأن
هناك علاقة بينها وبين رب الأسرة التى تقطن أعلانا وهو طبيب ضابط .

وفى ذات يوم أقبل زوجى على البيت وقد تجهم وجهه وبدأ كان
فى صدره ثورة تعتمل وغضبا يستعر ٠٠ وسألتة عما به فأجاب
بلا شيء ٠٠ ولكنى رأيت أنه يجاهد فى كبت غضبه ٠٠ فالححت عليه .

وأخيرا وضح لى الأمر قائلا انه قد تأكد بنفسه أن زوجة قريبه
امرأة سوء ٠٠ وأنه لا يستطيع الصبر على عيبتها ولا يطيق أن يدعها
تجعل من الدار مأخورا وتلوث شرف زوجها الفنى الحمار .

ولم يكن ميعاد حضور زوجها قد حل ، فقد كانت الساعة السابعة
مساء ولم يكن يحضر قبل العاشرة ٠٠ ووجد زوجى أن خير فرصة

ينتهزها لتوجيه تصيحته للمرأة العابثة هي هذه الساعة ٠٠ فذهب
يطرق باب الشقة .

وكان أقصى ما أخشاه أن يتهور زوجي في غضبه ٠٠ فانه رغم
مدونه وحلمه وسعة صدره ٠٠ كان اذا غضب نسي نفسه ، وخرج
عن وعيه .

وبدأت أندم على تركه يزج بنفسه فيما لا يمكن أن يعود عليه الا
بالشر ٠٠ ما لنا ولغيرنا !

ثم هناك أمر آخر ٠٠ اليس من المحتمل أن يعود زوجها فجأة ٠٠
فيندفع زوجي في غضبه ويقص عليه جلية الأمر .
ومن يدري ربما ثار زوجها فقتلها وقتله وقتل نفسه .
واخذت الوسائس تصطخب في رأسي .

وتملكني على زوجي قلق شديد ٠٠ وخيل الى أن غيبته قد طالت ،
ووجدتني مكروبة لاهثة لأطمئن عليه .

وطرقت الباب طرقة خفيفة فلم يجب أحد ٠٠ ووجدت أن الباب
غير مغلق بالمزلاج ، فدفعته دفعة خفيفة فانفتح ، ودخلت الى الصالة
وأنا في غمرة من القلق والاضطراب .

ووقفت في منتصف الصالة الخالية ٠٠ أدير البصر يمينا ويسارا
دون أن أجد أحدا ٠٠ وزادت في نفسي الوسائس ، ووجدتني أندفع
بلا ارادة الى اقرب حجرة الى فاقتح بابها وأدلف منه .

ولا أظنني أستطيع قط أن أحصف لك مبلغ دهشي وأرتياحي وأنا
أقف في الحجرة أحملق في المنظر الذي رأيت فيها
لقد رأيت آخر ما يمكن أن يخطر على بالي .

رأيت الاثنين وقد ضمهما فراش واحد .

من يصدق هذا ؟ ٠٠ ؟

زوجي الأمين الطيب الوفي ، الذي كان يشتمز من المرأة ، والذي

كنت أخشى عليه من أن يقتلها من فرط كرهه لها .. ينهار أمامها بمثل
هذه السرعة ؟

أهكذا تتطاير المبادئ والاخلاص .. فى غمضة عين .. أمام
جسد عاز وجيفة نثنة .. ؟

أهكذا الرجال يا سيدى كلهم كالكلاب .. مهما حسن نوعهم وكرم
أصلهم .. لا يتورعون عن أن يدسوا أنوفهم فى أقرب كوم للقمامة
يلوح لهم .

انى أكتب اليك من بيت أبى ، فانى لم أستطع أن أبقي لحظة واحدة
مع الرجل الخائن الغادر .

انى أحس بأن أملى فى الحياة قد نرته الرياح ، وأشعر أن
كرامتى قد خدشت ، بل سحقته .

وانى مصممة على طلب الطلاق .. مصممة على ألا أعود اليه
قط .

ولكن يطوف بذهنى بين أونة وأخرى ذلك السؤال الذى سألتك
إياه فى بادئ الأمر :

أكل الرجال كذلك ؟ من نفس المعدن الخبيث والطينة القذرة .. ؟
أجب بصراحة .

أهناك أمل - فيما لو انفصلت عن زوجى - أن أصادف بين الرجال
من هو أطيب عنصرا ؟ أهناك رجاء فى مستقبل أفضل .. أم أنكم
كلكم كذلك .

أجبنى يا سيدى .. أكلكم كذلك ؟

المخلصة

(.....)

★ ★ ★

سيدتى العزيزة ...

أجل - كلنا كذلك -

كلنا تماما كما وصفت ... نفس المعدن الخبيث والطينة القذرة -
ماذا أقول لك ... وقد رأيت أن زوجك المثالى ، الذى قلت عنه كل
ما قلت ... قد تهاوى عند أول تجربة ألقى به فيها ؟
انا لا أعرف بالضبط ماذا فعلت به المرأة ... ولا ما نوعها -
وان كنت أستطيع أن أضمن ، وأستطيع بناء على التخمين أن أجزم ،
بأنى انا أو غيرى ، ما كنا نستطيع المقاومة ... لو كنا مكان زوجك ،
وان كان ذلك لا يمنع من أن نكون أشد من زوجك حذرا ... فلا تتركه
الباب مثلا غير مغلق بالمزلاج -

يجب أن تعلمى أن امثال هذه المرأة التى أوقعت زوجك كما
أوقعت غيره ... هى أشبه بالسبيل الذى يشرب منه كل عابر سبيل ...
أو بالطوبى الملقاة على قارعة الطريق يقرعها كل سائر يقدمه ...
فلا يكاد يتجاوزها حتى ينساها ، اللهم الا اذا كان غلوى طوب -
عودى الى زوجك يا سيدتى - ان كل ما يجب عليك عمله هو أن
تتركى الدار الموبوءة وتتبعدى بزوجك عن منطقة الخطر -

المخلص

(.....)

سيدى العزيز ...

لا أمل هناك فى عودة ، ولا رجاء فى صلح ... لقد اتضح لى أن
هذا الزوج المثالى ... كان أول الناس صلة بالفاجرة ... وأن غضبه
لم يكن غيرة على الفضيلة والشرف ، بل غيرة على المرأة من بقية
الرفقاء -

يا للرجال الخادعين الخونة ...

المخالصة

(.....)

امراة طيبة

لقيتها فى بيت من بيوت الهوى .. دفعنى آليه
صاحب للترفيه والتسلية .. ووجدتها صامئة
لا تتحدث .. ولكنى أحسست انها مخلوقة طيبة ..

كنت فى حيرة من أمرهما .. وكنت أسائل نفسى وأسائل الناس ..
كيف يستطيعان التفاهم ؟ وأية سخرية من سخریات القدر ألقت
بأحدهما فى طريق الآخر ، وأرغمتها على رفقة العمر ، وشركة
الحياة ؟ !

وأعجب ما فى الأمر .. ذلك الحب العنيف بينهما .. فلقد كنت
أفهم أن زواجهما - برغم ما فيه من تناقض يبعث على الدهشة - قد
يكون وليد منفعة أو جاء خبطة عشواء من صنع الظروف الخرقاء
أو فرضته أسباب خفية قاهرة ، فلم يستطيعا سوى الاذعان والامتثال
.. أجل .. كنت أفهم أن زواجهما العجيب .. ليس سوى وضع
شاذ لغرض من الأغراض ، والحياة مليئة بالأوضاع الشاذة
القلوبية .. كل هذا كان يمكن أن يبرر زواجهما ، أما أن يكون بينهما
حب ، وحب عميق قوى متين ، فذلك ما لم أجد له فى ذهنى ما يبرره ..

وكيف يقوم حب ٠٠ بين أعمى وبكماء ٠٠ حب استطاع أن يدفع
 كلا منهما رغم ما به الى المغامرة بزواج صاحبه ؟
 لو أنهما تزوجا وهما صحيحان ، ثم أصيب كل منهما بما أصيب
 به ٠٠ لما كان هناك ما يبعث على الدهشة ٠٠ بل لما وجدت في حبهما
 القوى سوى صلة طبيعية زادت المصائب والنوازل توثقا وارتباطا .
 ولكنهما تحابا وأقدا على الزواج وبكل منهما ما به . كيف أحب
 كل منهما الآخر ؟ كيف استطاعا التفاهم ؟ ٠٠ وكيف تبادلوا العواطف
 والمشاعر ؟

لو كان كلاهما أبكم ٠٠ لقلنا أنهما تفاهما بالعيون ، ولو تعطلت
 - برغمهما - لغة الكلام ، لخاطبت « عينيه في لغة الهوى عيناها » -
 . لو كان كلاهما أعمى ، لقلنا جرى بينهما الحديث فعشق كلاهما
 الآخر بسمعه وأذنه ، « والأذن تعشق قبل العين أحيانا » .
 أما أن يجمعا بين العمى والبكم ويتحابا ٠٠ فذلك ما حيرنى ،
 وملأنى عجبا !

ولقد بقيت أسألك نفسى كيف يعيشان ؟ وكيف يتفاهمان ؟ حتى
 جمعتنى بهما أو اصر صداقة ، وزادت بيننا الصلة حتى استطعت أن
 أعرف الكثير عن حياتهما الخاصة ٠٠ فعلمت كيف يتفاهمان .
 شيء عجيب ! لقد كانا يتفاهمان كأصح صحيحين ، وكان العاهة
 التى بكل منهما لا أثر لها .

فهل كان التفاهم صنيع الحب ؟ أم طول العشرة والتعود ؟ !
 كنت أظن قبل أن أعرفهما أن الأبكم ، دائما لا يسمع ، أما هى فقد
 كانت تبدو لى كأنها تسمع ٠٠ أو أنها كانت تلتقط الحديث وتفهمه
 من مجرد حركة الشفاه ٠٠ فكان هو يتحدث ، وهى تفهم كل ما يقول ،
 وتلبى كل ما يطلب ، بلا لبس ولا خطأ .
 وكان هو شخصا عجيبا ٠٠ يبدو لى أن حاسة السمع أو اللهس

كانت لديه خارقة للعادة ، ومن يدري ربما كانت لديه حاسة سادسة ..
يفهم منها ما تريد ويقرأ بها خبايا رأسها وصدرها دون أن تفصح
عنه .

على أية حال .. سواء أكان هذا أم ذاك ، أو كان شيئا آخر مما
لست أدري . لقد كان الشيء الذى أستطيع أن أجزم به .. هو أنى
ما رأيت التفاهم بينهما يتعثر قط .. بل كانا يتفاهمان كإنسانين
سليمين .

ولقد هدأت حيرتى بعض الشيء بطول معرفتى لهما .. ولكن
حب الاستطلاع لم يخمد فى نفسى .. بل بقيت أتلهف الى معرفة
قصتهما .. كيف التقيا ؟ وكيف تحابا ؟ ان فى حبهما - بلا أدنى
شك - أمرا يستحق أن يعرف !

وسنحت الفرصة ذات ليلة ، وقد خلوت به فى شرفة الدار ..
نسمر بحديث هادئ ، وبدأت أحدثه عن نفسى حديثا رقيقا مستقيضا
استطعت به ، ويسكون الليل ونسيمه ورقته .. أن أستدرجه الى
الحديث هو الآخر ، وإذا به يمد ساقيه فى استرخاء ويدفع رأسه الى
الوراء كأنه ينظر الى السماء ويقول :

- أحببت مرتين .. حبا قديما وحبا جديدا ، أما القديم فقد
ثوى ، ولم تبق منه سوى نكريات باهتة .. تبدو كأنها بقايا سحب فى
الأفق البعيد .. لقد فقدت صاحبتة ، أو لكيلا نظلمها فقدت أنا منها ،
وافترقنا على عهد وميثاق ، وذهبت الى الميدان بعد أن وعد كل منا
الآخر أن يكون لصاحبه ، ولكن الظروف أضاعت العهد ومزقت
الميثاق ، فلم نلتق بعد ذلك أبدا .

لم أحاول أن ألقاها .. فقد كنت أعلم أنى بالنسبة لها لن أكون
سوى إنسان مفقود ميت .. هالك ، وكنت أفضل أن أكون كذلك ..
من أن أبدو لها بهذا الشكل البشع .. ضريرا مشوها !

كنت أرى أن أبقي في ذاكرتها ذكرى جميلة بدلا من أن أكون في
حاضرها واقعا مرا ثقيلًا .. كنت غير واثق من نفسي ، وكنت أكره
أن أكون فرضا بغیضا عليها •

ثم انه لا حق لى عليها - وهى ناضرة كالزهرة ، وهبتى شذاها
وأنا انسان سليم - فى أن أتعلق بها فأشدها لتقضى بقية عمرها مع
ضرب خابى العينين مظلّم الحياة •

كان حبى لها قبل أن أصاب يشدنى اليها .. فلما أصبت أحسست
أن حبى يدفعنى عنها •

وهكذا عدت من ميدان القتال وكأنى لم أعد .. لقد سبق أن
أعلنوا أنى مفقود ، ولا أظن أحدا قد اهتم لفقدى اللهم الا هى ، عقد
خشات يتيم الأبوين ، وقضيت حياتى وحيدا ، منطويا على نفسى ..
لا أحب ولا أحب ، حتى لقيتها ، فأحسست نحوها بما يحسه ضال
فى بيداء مقفرة أقبل على واحة منحتة الظل والثمر والماء ، فوقته
من هجير ، وأطعمته من جوع ، وسقته من ظمأ •

عدت من القتال ضريرا ، أو على الأصح ميتا مفقودا لأنطوى على
نفسى مرة أخرى وأعود لأضرب فى بيداء الحياة واقعد الظل والماء
والثمر ، وأفقد معهما البصر والأمل •

ومرت بى الأيام لتزيدنى يأسا على يأس ، ومللت الحياة وهممت
- لولا بقية إيمان - بالتخلص منها .. حتى كان ذات يوم ، أحسست
أنى بعثت من العدم •

أجل مرة أخرى .. أحسست انى وهبت الملجأ بعد طول ضلال ،
ولقيت المقر بعد طول سعى وكد •

لقد أحبيت ثانية ؟ !!

لست أدري لم أحبيتها ، التوافق بين نفسينا .. أم لأنها كانت

ذات عاهة وكنت ذا عاهة ، فألف المصاب بين قلوبنا ؟ أم لأنها كانت أول من منحني عطفًا وحديًا ؟

الواقع أنني كنت على استعداد لأن أحب أية مخلوقة تمنحني قلبها .. أيستطيع طاوي الصحراء الجرداء .. أن يرفض قدرا من الماء مهما حقر ، وقدرا من الظل مهما ضؤل ؟

لقيتها في ظروف عجيبة .. لو لقيت بها غيرها لما فكرت قط في أن أتزوجها .. أما هي ، فما كنت لأتردد في زواجها حتى ولو لقيتها في أسوأ مما لقيتها فيه .

لقيتها في بيت من بيوت الهوى .. دفعني إليه صاحب للترفيه والتسلية ، ووجدتها صامئة لا تتحدث ، ولكني أحسست أنها مخلوقة رقيقة جميلة طيبة ، وسألت عنها صاحبة البيت فأنبأتني أنها فتاة يكما .

ونشأ بيننا ود سريع ، وأحسست منها عطفًا كثيرًا ، ووجدت المشاعر تتدفق من قلبي نحوها ، وفي نهاية السهرة أوصلتني إلى الدار .

وفي اليوم التالي أقبلت تزورني ، وتكررت الزيارة يوما بعد يوم ، ولم تمض بضعة أيام حتى انتهى الأمر بيننا بالزواج .
لقد تمت المسألة في غاية السرعة .. فلم يمض بين أول لقاء وبين الزواج أكثر من أسبوع .

قد يبدو الأمر تهورا مني واندفاعا .. أن أتزوج امرأة من بنات الهوى لا أعرف عنها كثيرا ولا قليلا ، ولكني أؤكد لك أنني لم أندم قط على فعلتي هذه ، فلقد أحسست منذ لقيتها أن شيئا خفيا يشدني إليها ، واستطعت أن أجزم لنفسى أنها - على كل ما بها - خير من ألف امرأة شريفة .

لست أدري ما رأيك أنت . اني أحس أنها عوضتني عن حياتي

الماضية • ويبدو أنني لو تزوجت صاحبتى الأولى وأنا سليم البصر ،
لما كنت أسعد حالا مما أنا عليه الآن ، ففى كثير من الأحيان يبدو لى
أننى لم أفقد شيئا ، وأنى ألس صاحبتى الأولى فيها •• وأحس بها
بين ذراعى ، وأنى أبصرها كما كنت أبصرها فيما مضى •• حتى ليخيل
الى أنى أحب الاثنتين فى واحدة ، وأن فقدى البصر جعلنى أتوهم
صاحبتى الأولى فيها •• أترى النساء يتشابهن جميعا •• اذا
ما تحسناهن بأيدينا ؟



وصفت الرجل ، ولم أدر بأى شيء أجيبه ، ولم أشك من حديثه
فى أن كل ما به من حنين مبعثه حبه الأول ، الذى خشى عليه أن يتحطم
اذا ما التقى بصاحبتة ، وأنه فضل طول الحرمان على مرارة
الهزيمة ، وحرص على أن يحتفظ فى ذهنه بأوهامه الجميلة ••
ليعيش عليها •

قلما التقى بأول امرأة •• أبدت له عطفًا ، بعد أن أضناه
الحرمان ، وهبها ما اختزنه من الحنين ، وأقبل عليها ، فأحب فيها
صاحبتة ، ولم أشك فى أن الوهم قد رسمها له صورة طبق الأصل
منها •

ماذا يضيره •• ما دام ضريرا ، لا يبصر شكلها الحقيقى ولا يميز
الفارق بينها وبين صاحبتة الأولى ؟



ونهضت من مقعدى فشددت على يده مودعا وهمت بالخروج
عندما وجدت الزوجة مقبلة من الحجرة المجاورة ، وبدالى من نظرتها

أن فى رأسها أشياء كثيرة ، وسرت واياها مجتازين الحجرة الى الصالة ، الى الردهة ، لتوصلنى الى الباب .

وفى الردهة وجدتها تتوقف ثم ترفع بصرها الى وتهمس قائلة
فجأة :

— هل سمعت منه القصة ؟

وتملكنى الدهول ، فقد كنت على استعداد لآى شىء الا ان اسمع
اليكفاء تتحدث .

وهمست متسائلا فى دهش شديد :

— أنتكلمين ؟

وهزت رأسها مشيرة « أجل » ثم أردفت قائلة :

— يبدو لى أن من الانصاف أن تسمع القصة من الناحية الأخرى .
انى وصاحبته الأولى مخلوقة واحدة . . انى هى . . التقيت به أول مرة ، وأنا على وشك الانزلاق الى الهلوية فأحببت كبا لم أحب من قبل ، وأحسست أنه قد أنقذنى من التردى ، واتفقنا — كما قال لك — على أن يكون كل منا لصاحبه .

ثم سافر الى الميدان ، وأخذت أنتظر ، ولما علمت من صاحبه انه فقد ، تملكنى اليأس وأحسست بالانهيار ، ووجدتني أندقع مرة أخرى الى الهاوية . . دون أن أجد ما ينقذنى ، ومرة بى الايام وأنا أترجى فى الهوى . . حتى كان ذات يوم التقيت به . . فكاننى رأيت ميتا بعث ، وأحسست بالجنين اليه ، ولكنى كرهت أن أحطم فى ذهنه صورتى الحلوة الشريفة ، وخشيت — كما خشى هو من قبل — أن أبدو له بهذه الصورة البشعة . . امرأة مدنسة ، ولم أتكلم ، حتى لايعرفنى ، ورجوت صاحبة البيت أن تنبيهه أنى بكفاء ، وحاولت تجنبه والابتعاد عنه ، ولكنه أقبل على فى لهفة وشوق كأنما قد أحس بى . ولم

استطع الا أن أبادله اللبقة على أننى. مخلوقة أخرى جديدة غير
صاحبتة الأولى ، ومنذ ذلك اليوم .. لم أنبس ببنت شفة •
وعرض على الزواج كما أنا .. بكاء من بنات الهوى .. ولم
أتردد فى القبول .. وعشت معه بشخصيتى الجديدة ، فكسبت
الحاضر ولم أهدم الماضى •
انى أمامه واقع سعيد هنىء ، وفى ذهنه ذكرى جميلة ممتعة ..

امراة آشمة

ومرة أخرى تدخل القدر ليقتفب الينا بجديد ..
ولكن قذيفته هذه المرة كانت بردا وسلاما وكان فيها
الشفاء لنفس مضنأة معذبة ، والرجاء لقلب يائس
موجع ، والماء لروح صادية مهجرة .

يا قيس ليلى بليلى قل لذا الوله
هل آخر الحب من مثل أوله ؟
أتيت ربيع الهوى عن غير معرفة
والله يعلم ما ألقى بمنزله
ما كان ذلك طوعا انما قدمي
زلت بقلبي فقادته لمقتله

اقسم بليلى .. ليلاى .. وليلاكم .. وليلى هذه القصة ، ان
آخر الحب أشد من أوله مرارة والذع طعما .
وما أحق الشاعر الشاكي بالرياء وقد ذاق المر من أوله وأتى
ربيع الهوى ، وخاض بحر الصباية ، خوض جاهل مكره مساق عن

غير معرفة وبلا ارادة ولا رغبة ، ولكن قدمه موت به وزلت بقلبه ،
قاومت به الى حقه وقادته لمقتله .
ما كان ذلك طوعا !

ومتى كان الحب طوعا ؟ ومتى كان عن معرفة وتقدير ؟
ان امامى رسالة من بغداد . . رسالة ليلى المريضة المعذبة . .
قرأتها مثنى وثلاث ورياع ، وفى كل مرة أصل لأخرها واقوقف امام
لوعة صاحبقتها وحيرتها وسؤالها اياي ان أصف لها دواء وأجد
لها حلا .

ان الدواء مر . . فعندما تزج بنا الأقدار فى مثل هذه التجارب
يتعذر علينا الخلاص الا بطريقين أحلاهما مر . . وأسهلها شائك
وعر . . الأول على حساب تحطيم قلوبنا وتمزيق مشاعرنا . .
والثانى على حساب تحطيم التقاليد وتمزيق العرف والأوضاع . .
الأول نكبح فيه جماح أنفسنا ونعلمها الصبر على الشقاء والجلد على
الحرمان . . والثانى ننتقل منه على هوانا . . تلهب ظهورنا سياط
الألسنة ، وتدمى أقدامنا أشواك اللوم والتأنيب . . وكلا الطريقين
شاق عسير . . والنهاية . . الله بها أعلم .

هذه الرسالة تحتوى على تجربة شاقة عسيرة . . لست أشك فى
أن الأقدار لا تبخل بها على البشر . . بل هى تبسط بها يدها كل
البسط فى كل زمان ومكان .

ولست أريد أن ألقى لوما على صاحبة الرسالة . . أو أحملها
ذنبا ، فانا أكره أن أعطى طالبة العلاج والمشورة بدل الدواء لوما ،
وأكره أن أحملها نتيجة ما انسأقت اليه . فهذه المازق والأزمات
تدفعنا الأقدار اليها دفعا . . فنجد خيوطها قد أحاطت بنا . وأوثقتنا
قلا نملك حراكا ولا فكاكا .

ومع ذلك ، ومع رغبتى الشديدة فى تجنب اللوم . . فانى لا أملك

أن أمنع الحيرة والدهش اللذين يملكانى كلما توقفت أمام بعض الحوادث والمواقف فى هذه الرسالة •

ولا أملك أن أمنع نفسى من التساؤل عن نظام الحياة فى بيوت العراق ، وعن تقاليد العائلات العراقية المحافظة •

هل من الطبيعى أن يسمح لغريب بالحياة مع أهل البزار ؟ وهل من الطبيعى أن يصبح غريب ذو حق فى عائلة من زوج وزوجة وأم وأب ؟ وأن تتضخم حقوقه الى درجة أن أى اكلة تعجبه تطبخ له وأنه إذا تأخر عن الطعام لا يجسر أحد أن يتناول الطعام قبل أن يتصدر المائدة ؟

هل هذا شيء طبيعى فى عائلة عراقية محافظة ؟

أنا لا ألوم ولا أسخر •• بل انى اتساءل مجرد تساؤل ، أن الرسالة قد تضمنت هذا الكلام بمنتهى البساطة كأنه لا عجب فيه •• ومع ذلك فقد عجبت له •• فأنى أعرف العراقيين كالمصريين •• وأن تقاليد العائلة العراقية المحافظة هى نفسها تقاليد العائلة المصرية المحافظة •

وهل من الطبيعى أيضا أن •• ؟

ولكن ما لى ولكل هذا التساؤل ؟ اليس من الأفضل أن أعرض الرسالة كما هى •• وليحكم عليها القراء بما يشاءون •• ؟
أظن هذا خير وأفضل •

اليكم الرسالة كما هى •• بلا تنميق ولا تزويق :

« أخى ••

•• سأحدث أخى عن سر أدمى فؤادى وجعلنى أنبل وأنا بعد

فى ربيع العمر وناصر الحياة •

أكتب اليك كتابة شابة تعسة يائسة تقطعت بها خيوط الأمل وسدت فى وجهها سبيل الرجاء •• وبلغ بها اليأس مبلغا جعلها

تتوهم نجاتها في خيط زاه رقيق ! وتتلمس وسط الظلماء بأرقة نائية
تلمع كاللكلبيء .

أجل يا أختي . . . لقد بلغ مني اليأس مبلغا دفعني الى أن أجا
اليك وأنا في بغداد وأنت في القاهرة ، فأكتب اليك شارحة قضيتي ،
عارضة مأساتي ، سائلة أياك أن تجد لي منها مخرجا وتسعفني
بدواء بعد أن عز المخرج واستعصى الدواء .
أنا أسألك الدواء وأنت في القاهرة وأنا في بغداد .

أسألك راجية أمله .

لا تتهمني بالجنون ، فأنا ما زلت عاقلة . . ولولا هذا الأمل
والرجاء الذي حفظ لي بقية من عقل ، لأودي بي اليأس الى هوة
من الجنون .

انني أمل فيك ، على البعد ، لأنني لا أريد أن أمل في شيء ، وما دام
الأمل قد ضاع في كل ما حولي ، فلم لا أمل في شيء بعيد ؟ . على
الأقل حتى لا تستعصى على الحياة .

أنا فتاة (هكذا كتبت صاحبة الرسالة . . واعتقد أن الصحيح
. . سيدة) ولدت في وسط محافظ على التقاليد ، ومن عائلة متوسطة
تتكون من أم وأب وأخ .

ولست أريد أن أضيع وقتك بتفاصيل تافهة عن العائلة ، ولكنني
أخص العلاقة بيننا بأن كل فرد في العائلة يحب الآخر ويحترمه .

وبدأت اندماجي في الحياة العراقية بالالتحاق بإحدى المدارس
الابتدائية . . وكنت أشعر منذ حدثتي برغبة في الدراسة وميل الى
تخصيل العلم ، ومكنتني هذه الرغبة وهذا الميل من التفريق على إبداتي
من الطالبات ، وكانت أقصى أمنية لي أن أتم دراستي حتى النهاية ،
ولكن القضاء الجائر لم يشأ أن أنال أمنيتي فحالت ظروف قاسية بين
الدراسة وبينني وأنتزعتني من الطريق في أول مراحلها .

ولم يزغزع ذلك الجور من القضاء والشدة من الظروف ثقتي
 بالحياة ، وداومت على السير فيها راضية قانعة ، حتى قذف القدر
 إلينا بما زلزل زلزالها وأخرج أثقالها ، وغدت علينا الرياح بغمامة
 معتمة مظلمة خيمت عليها .. أو على الأصح .. على حياتي
 أنا بالذات .

لم تكن الغمامة والزلازل سوى رجل جمعته بأخى دواعي العمل ،
 ووثقت الدواعي الصلة بينه وبين العائلة .. وزادت الأيام هذه
 للصلة وثوقا ، فقد كان بحكم العمل المشترك بينه وبين أخى دائم
 التردد علينا يكاد يقضى معظم يومه فى بيتنا .

وقد بدأ هيبه علينا وأنا لم أزل بعد طفلة غريبة .. لا هم لها
 سوى استنكار دروسها وعمل واجباتها الدراسية والانهماك فى
 تدبير شئون الدار ، وأخذ مركزه يتوطد بيننا ومقامه يستقر ، وزاد
 تعلق الأسرة به حتى انتهى الأمر به الى أن يقطن معنا .

ولا أكذبك القول إذا قلت لك ان الرجل كان يتمتع بكل احترام
 وتبجيل ، وكان الكل ينظرون اليه نظرة تقدير .. عداى .

أجل .. أنا وحدى الصغيرة الضئيلة التافهة .. التى كنت
 أكرمه وأحتقره .. فما كان يقع من نفسى الا موقع أفاق أسمى فرضته
 علينا الأقدار فرضا ، وعبثا حاولت أن أعود نفسى حتى على مجرد
 قبوله ، فقد كانت تعاقه وتزدرية وهى الطموحة الوثابة ، وهو رجل
 البشارع اللفظ الغليظ المحروم من كل ما وهبه الله لإنسان محترم ..
 لا ثقافة ولا خلق ولا ذوق .. ولا شيء أبدا .

ومع ذلك فلم أكن أستطيع الا الرضاء .. فما كنت أملك فى الدار
 سلطة طرده وأقصائه ، ووجدتني أصبر مضطرة على قربه والعيش
 معه .. حتى وقعت الطامة الكبرى ، وطلب يدى .

طلب يدى لكى اكون زوجته ولكى اناام واياه تحت سقف واحد
وقى فراش واحد •

هذا الحيوان الجاف ، من دون خلق الله أجمعين ، يطلبنى انا
بالمذات من دون نساء العالم لكى اشاطره حياته ولكى اشد معه
جوئاق يربطنا معا الى الأبد ! •

ولم يجد من الأهل رفضا ولا صدا ، فقد كانوا كلهم فى حاجة
اليه بعد أن قيدهم بأغلال مداياه وجمائله ، وبعد أن أغمضوا أعينهم
عن خبث نفسه وسوء طويته قلم يكتشفوه على حقيقته رغم انقضاء
هذه المدة الطويلة على سكناه معهم •

وفاتحونى فى الأمر قهبيت ثائرة غضبى مدافعة عن كيانى وعن
مستقبلى وعن حياتى الطويلة الباقية •• وتشبثت بحقى فى الحياة
وقى اختيار الزوج تشبث المستميت •• وقلت انى ما زلت صغيرة
وانى أرغب فى الاستمرار فى الدراسة •• وحاولت التذرع بجميع
وسائل الرفض ، ولكن رفضى لم يجد معهم تفعا •• وساقونى الى
مصريى سوق النعاج الى قصابها والمذنب الى جلاده •

وفى ذات يوم أسود أغبر مثقل بالكروب والخطوب ، نفذ فى حكم
الزواج •

انتهى الأمر ، وحافظت الأخيرة ، وسقت الى مصريى المحقوم ••
الى بيت الزوجية الجديد ، ولم يكن أمامى مفر منه فتوسلت اليهم
— ما دامرا قد قضوا على هذا القضاء — أن يترفقوا بى ويستعملوا
الرفافة والا يتركونى وحدى •• بل يؤنسوا وحشتى ويقطنوا معى
والا يفارقونى ويخلفونى وحدى معه •

ومرت بى الأيام وأنا أزداد تعاسة وشقاء ، وجسدى يزداد نحولا
وذبولاً حتى ومن منى العظم وبت شبها لا يكاد يعرفنى أقرب الناس
الى •• وهو •• هو •• يرتع فى بحبوحة من الجهل والغباء والفظاظة

والغلظة .. لا تكاد تسمع من شفتيه سوى سيل دائم من الألفاظ
الذنبية الجارحة .

ورزقت من هذا الوحش بطفلة آية فى الجمال ، ولكنها شبت على
غرار أبيها .. فظاظة خلق ، وغلظة طبع ، حتى بت أكرهها أشد
الكره .. ونمت وترعرعت وهى أبعد ما تكون عن عطفى وحنانى .
لقد كنت أشعر دائما أنها ابنته وحده .. وأنه ليس لى فيها ناقة
ولا جمل ، فيغضتها ، وهى ابنتى ، لمجرد احساسى بأنه يشاركنى فيها .
تلك البتوة .

أجل .. لقد تغلب كرهى لابنته على حبى لابنتى .
وهكذا سارت حياتى معه على وتيرة واحدة ، فما اعتبرته يوما
زوجا لى .. وما بادلتة حبا ولا ميلا ، ولأحتى احساسا بوجود .
وفى صيف ١٩٤٧ أفلحت ، بعد الحاح شديد ، فى اقناعه بالسفر
الى مصر لتمضية الصيف فى الاسكندرية .. ولأتداوى من علة
لازمتنى هى « مرض الأعصاب » فقد كانت أعصابى متوترة مرهقة
وكنت أثور لأتفه سبب .

ومرة أخرى تدخل القدر ليقذف الينا بجديد .. ولكن قذيفته هذه
المرّة كانت بردا وسلاما ، وكان فيها الشفاء لنفس مضناة معذبة ،
والرجاء لقلب يائس موجع ، والماء لروح صادية .. مهجرة .
لقيته فعرفت فيه - من أول نظرة - بلا أى مبالغة ولا ادعاء ،
حبيب الروح وأنس الحياة ، ولم أجرو أن أعترف حتى لنفسى ..
بهذا الأمر ، بل زعمت لنفسى أنني ارتحت اليه مجرد ارتياح ، فلقد
كان مخلوقا مثقفا رزينا لطيفا ، هادىء الطبع ، باسم الثغر ، حلو
الحديث .

كان شابا وسيما ذا مركز محترم وأصل طيب ، وثقافة عالية ،
وقد تعددت زيارته لنا بعد التعارف وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين

أفراد العائلة جميعا .. حتى أضحي على مر الأيام كواحد منها ..
وأصبح الصديق الحميم للزوج والأخ والوالد والوالدة .
وبدأت أحس بالتطور الجديد فى نفسى التأثير ومشاعرى القلقة
وأعصابى المتعبة ، فهدأت الثورة ، وضاع القلق ، وتبدل التعب
راحة .

أى والله يا أخى ، ما عدت أحس بحزن ولا قلق ، ولا ارماق يرا
أصبحت أحب الحياة وما فى الحياة ، ولم أعد أضيق بكل شئ ذرعا ،
وأحس من كل جلسة مللا .. بل أخذت أشعر بأن هناك ما ملا الفراغ
وأفس الوحشة ، وكنت أجلس وإياه لنقرأ فى كتب الشعر والأدب
التي جلبها الى وتتناقش فيها ونتبادل الراى ، وكنت أحس من ذلك
بلذة أى لذة ، ومتعة أى متعة .

لقد بدأت أتذوق الحياة ، وأعرف ما معنى أن يعيش الانسان مع
صاحب مثقف لطيف رقيق .
وفجأة انقطع .. منعه الزوج عن زيارتنا . وتركنى أشبه بمجنونة
حائرة .. وظلمى مسغبة .

وأقول الحق أنى لم أستطع المقاومة ولا النفاق ولا المداواة ،
فارتيمت طريحة الفراش ، وكلفت والدى بالتنقيب عنه ، وخرج أبى
ولم يعد الى الدار الا به .

واعتذر عن غيابه وأنبأنى انه لم يعرف نبأ مرضى الا من أبى
وانه حضر فى التو عندما علم .

واستمر يعودنى حتى كتب لى الشفاء وعادت الى يعودت
حياتى ، وأشرق الكون بعد طول ظلمة وعبوس .

ولم أعد منذ ذاك الوقت أطيق البعد عنه لحظة واحدة ، وما عدت
أكتم حبى بين جوانحى بل أطلقته متحررا صريحا من الحنايا ..
وما عدت أخشى شيئا .. فاذا تأخر موعد زيارته استحثت مجيئه

بالتليفون ، وبت أغار عليه من لس الهواء ، وأعاتبه اذا قصر يوما
فى الزيارة •

ولست أريدك أن تفهم من قولى أطلقت حبى متحررا صريحا من
الحنايا. انى قلت له انى أحبه •

لا • لا • انى ما قلتها قط ، وما قالها •

ما قلتها وما قالها • ولكن كل فعلنا كان يوحى بها • وينم
عليها •

مرت على علاقتنا هذه ثلاث سنوات ، والحب بيننا متأجج والهوى
مستعر • لا تنطفئ له نار ولا يخبو له أوار ، حتى بات لكل منا
حقوق على صاحبه أقوى من حقوق الأزواج والآباء والأبناء ،
وأصبح هو كل شيء فى العائلة ، فأى أكلة تعجبه تضهى له ، وإن تأخر
يوما عن الطعام لم يجسر انسان على قربه حتى يتصدر المائدة •
فأشعر بالسعادة تفعم جوانحى وأنا بجانبه يروى لى النكات الحلوة
والأحاديث الطريفة المسلية •

وفى ذات يوم ألقى لى بأول رسالة يكتبها الى ويبثنى فيها حبه
ولواعجه • ألقاها الى بطريقة مترددة خائفة وجللة مستترة • فقد
يسها لى فى كتاب دون أن يعنونها باسمى كأنما هى مرسلة الى
مجهول ، وكانت رسالة جارة ملتبهة تذوب شوقا وتزفر جوى •
ولا أكتتم القول انى ما سعدت فى حياتى سعادتى فى لحظة
قراءتها ، أو على الأصح التهامها •

وطالت غيبته فترة بعد أن دس لى رسالته الممتعة ، وكنت أنوب
شوقا اليه فحادثته بالتليفون وسألته متخائفة عما اذا كانت الرسالة
الموجودة فى الكتاب تخصه ، وعمن يقصد بها •
ورد على بأنها شيء تافه كتبه فى فراغه ورجانى الا أعيرها لى
اهتمام •

ولم تضايقتى مغالطته . فقد كنت واثقة من أنه يعنينى بها ولم
أملك سوى أن أقول له ضاحكة :

— الله يسامحك .

ومرت الأيام وكل منا يخرج هواه ويكتمه ، ويبوح به ويحبسه . .
يبوح به فعلا ويكتمه قولا . . لساننا فى صمت وأعيننا وقلوبنا
وأرواحنا فى صخب وضجيج .

أقوالنا هادئة . . وأفعالنا ثائرة هادرة . . كان يكتب لى الشعر
الحار على قصاصات من ورق يرفقها بكتبه ، وكان يطلب من الإذاعة
أغاني المحبة . . فيهيج منى كامن الشوق وزائد الجب .

وطال بنا الهوى الشريف الطاهر المكبوت حتى أخذ يعصف
بحياتنا ، فبدأت تصيبه فى الصيف : لاضى نوبات عصبية ، وأخذ
جسده يذبل ، وعوده يجف ، حتى غاب عنا ذات يوم فجأة . . وكنت
فى الشهر الأخير وعلى وشك الدخول فى المستشفى للوضع .

ولم أتصور قط بعده ، فتوسلت إليه أن يحضر قلبى الرجاء ،
وأضيت مدة الولادة وهو ساهر على راحتى لم يفارقتى لحظة حتى
انتهيت من الوضع وغادرت المستشفى سليمة معافية .

ولم يكد يستقر بنا المقام بعد الوضع حتى وجدته يزورنا فجأة
ويعلن أنه قرر نهائيا عدم السكنى فى بغداد ، وأنه سينقل محل إقامته
بعيدا عنا لأسباب صحية ، وأن الأطباء أشاروا عليه بتبديل الجو .
نظرا للنحول الذى أصابه .

ويعد سفره بساعات كتب الى رسالة يصارحنى فيها لأول مرة
بحبه الجارف القياض ، ويصارحنى بأن سبب سفره الحقيقى هو
حيه لى ورغبته فى البعد حتى لا يكون سببا فى مأساة عائلية ،
وسألنى أن أكتب له باستمرار .

وهكذا رحل بعد ما أودعنى قلبه الذى يقطر حبا والماء ولوعة ،

واحسست بالمرارة والحزن ، مرارة الفارقة وحزن القطيعة ، ولكن
لم يكن أمامي سوى الصبر والتعلل بالكتابة .

ومرت الأيام وأنا أكتب له وأحدثه بالتليفون على بعد الشقة
وطال البعد وأنا أصبر عليه وأتجلد ، حتى نرى منى ناضر
الحياة ، وييس زاهر العود .

ورقدت على الفراش أنا والموت سواء .. لا أتمنى شيئاً سوى
لقاء بعد طول فراق .. ووصل بعد طول نأى وبعد .

وكأنما أراد القدر أن يعين في التكيل والتعذيب ، ويبعد عني
كل أمل في لقاء أو رجاء في وصل .

فاذا بي .. أنا التي أنتظر منه عودته من غياهب الطويل ، أسمع
أن الأمل قد قررروا السفر إلى خارج العراق .

ولم أطلق على قرارهم صبراً ، فأرسلت إليه استدعيه ، وأعلن أن
صبري قد نفذ .

وحضر إلى في النهاية .. وصارح كل منا صاحبه بحقيقة ما في
نفسه وسأله أن يضع للمسألة حداً .

وأنبأني بأنه على استعداد لأن يفعل من أجل كل شيء وأن
يفتديني بروحه .. ولكنه سألني أن أتروي وأدرس الأمور بعين
الحكمة والعقل .

أي عقل يا أخي وأي حكمة ! وهل ترك لي الهوى حكمة وأبقى
لي عقلاً ؟

أنا مجنونة .. تائهة .. حيرى .

أما من معين ؟ أما من موجد ؟

أغثنى يا أخي بنصح منك !

فقط لا تنس شيئاً واحداً وهو أنني أحبه .. أحبه .. أحبه ..

وأن الحياة بغيره .. مهما كان فيها .. أهون منها الموت .

(المخلصة : ليلي)

ماذا أقول لها بعد كل هذا ؟

وماذا يستطيع أن يقول لها أي قارئ منكم ؟

لقد قلت انه عندما تزج بنا الأقدار في مثل هذه الأزمات يتعذر علينا الخلاص الا بأحد طريقتين : الأول على حساب تمزيق مشاعرنا واحتمال الحرمان - والثاني على حساب تمزيق التقاليد وتحطيم الأصول .

ولكن يبدو لي أن الطريق الأول في هذه الحالة متعذر وأنه ليس هناك بد من الخلاص بالطريق الثاني وهو تمزيق التقاليد وتحطيم الأصول . . . وفراق الزوج والأبناء وتكملة الحياة مع الحبيب .

ولكن هل هناك في هذه الحالة بالذات تمزيق أصول وتحطيم تقاليد ؟ لا أظن ! . . فاني لا أستطيع أن أنزع طول الساندة أثرا لتقاليد أو أصول حتى الابنة ولدتها الأم مكروهة مبعوضة .

لقد قلت رأيي وأنا بعيد عن مكان الواقعة ، جاهل بأصول بيئتها وتقاليدما -

هل يستطيع أحد من أهل البلدة أن يفتينا ؟

يا أهل العراق . . اقتونا أفادكم الله .

★ ★ ★

وأخيرا وصلت الفتوى . . وحلت العقدة . . فتوى من السماء ، وحل من عند الله . . لقد أودى بها الداء . . وأنقذتها العلة ، وشيئها القدر بضحكة ساخرة تكاد تقول : هاكم امرأة أئمة !

امراة منتقمة

يا للقدر العجيب .. ألم تجد هذه المخلوقة من تسلط
عليه سياطها سوى ؟ .. ألم تجد من هؤلاء البشر سوى
ولدى وزوجى ؟ !

حدثتني صاحبة القصة قالت :

كنت فى حالة انهيار تام عندما ذهبت اليها • كنت اما تكلى ..
لم يمض على وفاة ابنها سوى بضعة ايام •
كنت أشبه بسطام .. لم يعد به من الحياة رفق .. فلقد كانت
الصدمة شديدة الوقع على .. أشد مما يمكن أن يخطر على بال
انسان •

كانت فجيعتى فى ولدى فجيزة مضاعفة .. وكانت ضربة القدر
التي وجهها الى بموته ضربة مزدوجة .. احداها أفقدتني اياه ..
والأخرى أفقدتني كل ما يمكن أن أتعزى به أو أتعلق فيه .. أفقدتني
كرامتى .. وثقتى فى الحياة •

لقد مات منتحرا .. من أجل امرأة .. وكان هذا آخر ما يمكن

أن أتصور أن ولدى يقدم عليه .. لقد كنت أراه دائما شديد الايمان ..
قوى الثقة بنفسه وبالحياة .. يشع من وجهه الأمل .. وتفويض
قسماته بالرح والرضا .

كنت أعرف أنه يحب ، وأنه كالنحلة يرشف من كل زهرة قطرة
.. ولم أنكر عليه هذا .. فما من شاب فى ربيع العمر يخلو قلبه
من بذور الحب .. وما حاولت مرة أن أتدخل فى أموره الخاصة ،
بل كان أقصى ما أفعله هو أن أدعوه بأن يهديه الله ويوفقه الى الزوجة
الصالحة :

ولقد خيل الى أن الله قد استجاب دعائى وأن قلبه قد استقر على
أحدى الزهرات فقد بدأت مواعيده تنتظم .. وكف عن السهر وعن
عبث الشباب ، وحمدت الله الذى هداه بهذا الحب الجديد .. وتمنيت
أن تكون صاحبته من أصل طيب ، يشرفنا نسبه ، وأن تستقيم أموره
معا ، حتى تكون له الزوجة المنشودة .

وبدا لى فى حبها قريرا هائلا .. دائم الاشراف ، دائم الفرجة ،
حتى لقد أحببتها أنا دون أن أراها ودون أن يحدثنى عنها الا لما ..
فلقد كنت أحس من هنائه هنائى ، وأستمد من رضاه رضائى .

ماذا يكون من أمرى .. بعد كل ما وصفته لك .. عندما أعود
الى الدار ذات مستاء عقب زيارة بعض الأقارب ، فإذا بى أجده
ضجيجا فى الدار ، وإذا بى المح عريقة الاسعاف تقف أمام الباب ..
ثم أستوضحهم الأمر فيقولون لى أن ولدى انتحر ؟

لقد سقطت على الأرض صريعة بلا حراك .. فلما أفتقت اندفعت
كالمجانين .. أضال غنه وارتميت على جسده ، غير مصدقة أنه
مات .. أو قتل نفسه .

هو يقتل نفسه ؟ ! الانسان القريب السعيد .. الشديد الايمان ،
والقوى الأمل .. ينتحر ؟
كيف ؟!! كيف يمكن أن يفعل هذا ؟
لقد كان مثلاً لانسان سعيد وما أحسست قط أنه يشكو المأ أو
يضمّر في نفسه حزناً .. أيمن أن يكون قد انتحر بسبب من يحبها ؟
لا .. لا .. ان ولدى لا يمكن أن يقدم على ذلك .
ومع هذا .. فقد حملت الينا الرسالة التي تركها قبل أن يموت ..
الجواب القاطع .. بأنه انتحر .. من أجل امرأة ؟
لقد كانت الرسالة تحمل الى .. الصدمة الثانية .
لقد وجدوها في ثيابه وكانت موجهة الى صاحبتها وكان بها
ما يلي :

« عزيزتى ... »

اكتب اليك لأقول لك كلمتى الأخيرة قبل أن أفارق الحياة .
لقد حزمت امرى على الانتحار ، ولو تنبأ لى انسان قبل اليوم
بأنى ساموت منتحراً لرميته بالجنون ... ولقلت انه انسان مخرف
.. فما احتقرت فى حياتى انساناً كالمنتحر .. ولكنى الآن أحس أن
من الغباء أن نبقى على قيد الحياة .. قولوا اننى جبان واتهمونى
بما شئتم .. فما عدت أعبأ بكم وبدنياكم .. لقد أضحيّت انساناً
يأساً .. يأساً من كل شيء .

لقد أحببتك ، وما بى من حاجة الى أن أخبرك بمدى حبنى لك ..
لأنك تعرفينه خير معرفة .. ولأنى لم أكتب هذا لأشرح لك حبنى ..
لأخبرك برأى فيك .. لقد أحببتك حباً من نوع لم أعهده فى نفسى ..
حباً ملؤه الاحترام والثقة .. وأحسست أن نفسى قد شئت اليك ، وأن
مصيرى قد ارتبط بمصيرك ، وأضحيت أنظم حياتى باعتبار أنك قد
يت جزءاً منها . وأن أحداً لم يعد له عن الآخر غنى .

ولست أزعج أنى أرى بالمرأة عن الخيانة .. وأتوقع منها الظاهر
والعفة ، فأنا شديد الخبرة بخيانة النساء .. ولكن أنت .. أنت
بالذات .. كنت أتوقع منك أن تكونى خيرا مما كنت .. كنت أرى فيك
نسيج وحدك .. كنت أضعك فوق مستوى البشر ..

ورغم كل هذا .. ما أظننى كنت مقدما على الانتحار لو أنك
خزلتني .. وبددت أملى بطريقة طبيعية .. وبخيانة عادية ..
كغيرها من الخيانات ..

بل يخيل الى ، لو أنى ضيقتك مع أى انسان آخر لكان الأمر
يمكن احتماله ، وما كان مثل هذا اليأس يطبق على فيسلبنى صوابى ..
أجل .. لو أنك خزلتني مع أى انسان .. غير أبى .. لاستطعت
أن أحتمل ..

أما أن أفجع فيك ، وأنت كل شيء .. وفيه وهو أبى ، ويعرف
أننى أحبك وأنت منتهى أملى .. فذلك ما لا أستطيع احتماله ..
لست أدري هل تحبينه حقا كما سمعتك تقولين له أم أنك
تخدعينه ؟ !

هل تخدعيننى ، أم تخدعينه ، أم تخدعين كلينا ؟
وأنى فى حيرة شديدة ، فهو رغم أنه أبى ما زال يفيض قوة
وقوة .. وما زالت به القدرة على فتنة النساء واغرائهن ..
انى فى حالة يأس مخيف .. وانهايار تام ، لقد فكرت فى أن
أقتلك ، أو أقتله .. فلم أستطع .. لأنى أحبك وأحبه رغم كل
ما فعلتماه بى ، وأخيرا فكرت فى أن أقتل نفسى فوجدت أن هذا هو
خير حل ، فما عدت فى حاجة الى نفسى لأنى كرهت الحياة ، وما أظن
هناك أحدا فى حاجة الى .. اللهم الا مخلوقا واحدا .. أحسن
بالندم من أجله ، وهو أسمى ..

أُمي الطيبة المخدوعة .. التي أحس أنى أتركها وحدها كاليتيمة
 فى مادية اللثام .. وكالشاة وسط عصابة الذئاب .
 انى أحس أنى جبان لأنى تركتها وحدها .. بينك وبينه .
 ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟ ان الله معها .. فهى امرأة مؤمنة ..
 اما أنا فقد كفرت بكل شيء .. وانهارت ثقتى فى كل شيء .. وبنت
 اشعر أن شفائى فى الرحيل عن دنياكم .. دنيا الزيف والخداع » .



تلك يا سيدى هى الرسالة التى تركها ولدى .. او الطعنة الثانية
 التى وجهها القدر .
 ولست أكتفك القول .. أنها رغم كونها شر ما يمكن أن تصاب
 به زوجة لم تروعنى كثيرا ، فقد تركتنى الصدمة الأولى - موت
 ولدى - وأنا فى حالة ذهول وأصابتنى بالم جعل كل الم غيره
 يتضائل .. أو قل انها قتلتنى « وما لجرح بميت ايلام » .
 وهكذا مضت الأيام الأولى عقب الحادث وأنا فى شبه اغماء ،
 لا أكاد أهتم لشيء أو أحس بشيء ، حتى بدأت أفيق لنفسى وأتطلع
 حولى فإذا بى أوشك أن أسلب الطير الآخر .
 وأحسست بكره شديد لتلك المرأة التى أصابتنى بتلك الفوازل
 والكوارث .. والتى سلبتنى أعز ما لدى .. ولدى وزوجى ..
 ووجدتنى أقف أمامها وجيدة عزلاء .
 وفى ذات يوم صمعت على أن انتهى الأمر وأن اذهب لمواجهة
 وأريها الرسالة التى تركها لها ولدى ، وأسألها أن ترحمنى ..
 وتترك لى زوجى .
 وذهبت اليها ، وطرقت بابها .. وأنا أحس أنى ذليلة كسيرة ..
 كانى سائلة أستجدى .

ورأيتها لأول مرة • • مخلوقة صغيرة تملك أمضى وأفتك ما تملكه
امرأة من روعة وفتنة •
وبدأت حديثي معها في لهجة مستعطفة متوسلة • • وهي تضع
ساقا على ساق ، وتتشاغل بتمشيط شعرها • • وأعطيتها الرسالة • •
فاخذت في قراءتها دون أن يبدو على وجهها أى علامة من علامات
الحزن والتأثر •
وأخيرا رفعت حاجبيها وتساءلت في دهشة :
— لست أدرى ماذا تريدان ؟
— أريد زوجي • • رديه الى • • يكفي أنى فقدت ابني •
— أسمعنى يا سيدتى • • أنا لست مسئولة عن كل انسان ينتحر ،
ولا أستطيع أن أمنع انسانا من حبى • • هل تريدان أن افعل لك شيئا
بعد هذا ؟
وأحسست أن قولها قد مزق حشائى • • وعزت على نفسى أن
أهينها الى هذا الحد •
ولم أستطع سوى النهوض والانسحاب ذليلة كسيرة • • كما
أتيت •
يا للقدر العجيب ! ألم تجد هذه المخلوقة من تسلط عليه سياطها
سوائى • • ألم تجد من هؤلاء البشر سوى • • ولدى وزوجى ؟
ورفعت بصرى وأنا أغادر الغرفة • • فواجهتنى صورة امرأة
معلقة بالجدار ، وأحسست من مراها برجة تشرى فى بدنى •
ووحدتنى دون تفكير أسأل عن تكون •
وأجابتنى المرأة فى شيء من التعجب :
— انها أمى • • اتعرفينها ؟
أمها !! ورأيت الأعرام تترى أمامى ، وإذا بالماضى يتجدد • • كيف
لا أعرفها ؟ • • وقد نزعتم منها خطيبها فى زمن مضى • • لقد سلبته

- منها بعد أن أحب كلانا الآخر ولما تمض بضعة أشهر على خطبته لها
- أجل .. لقد كان زوجي الذي انتزعتني من هو الخطيب الذي انتزعتني من أمها في زمن مضى •
- وتذكرت نصيحة أمي يومذاك .. وتحذيرها أيأى بالآ أتزوجه ..
- ولا أسليه من خطيبته ، وقولها : أن الظلم لا يد مردود ولو بعد حين •
- ان القدر لم ينس فعلا .. بعد ثلاثين عاما •
- وخبرجت اتعثر في انيالى محنية الظهر ، مطاطنة الهامة •
- اللهم هبنا من لدنك رحمة واغفر لنا ، واعف عنا •
- لقد كانت المسألة كلها .. لا تعدو أن تكون ثارا قديما •

امراة فاقلة

وتطايير من نفسى الحب والطيبة والخلق والهدوء
والاستكانة .. تطايير كل هذا ولم يبق فى نفسى سوى
احساسى بالجرح .. ووقع بصرى على مسدسه الذى
يحتفظ به فى دولابى ، ويحركه لا ارادية مددت يدي
وتحسس اصبعى الزناد ثم ضغط عليه .

اسقنيها فقد رايت بعينى
فى قرار الجحيم أين مكاني

اسقنيها .. فقد نضب معين الروح وجف ماء القلب .. اسقنيها
علها تفرق اكداس المرارة وتفتت صخور اليأس .

اسقنيها علها تطفىء حرقه فى النفس ، وتبل سعيرا فى الفؤاد ..
فان لم تفعل فلعلها مطفئة ذبالة حس ، هو كل ما تبقى لى لينكا جرحى
بين آونة واخرى ، وينكرنى بأن كومة الحطام التى تبقت منى مازالت
كائننا خيا يحس ويتالم ويفكر ويتذكر .

اسقنيها علها تذهب ببقية وعى وفضلة حس .. هو كل مايربطنى
بالحياة ويشدنى الى الامها واوجاعها .

انى أكره الحياة ، لأنها شيء غويص غير مفهوم .. انها لغز محير .. أوقد كتب على الانسان أن ينتهى دائما - مهما سلك من سبل - الى مثل هذا المصير اليأس التمس ؟
الا يمكن أن يغير مسلكنا فى الحياة - اذا قومناه - خاتمتنا الشقية ؟ أم أن الشقاء ما دام قد كتب علينا فلا بد من وصولنا اليه مهما أجهدنا أنفسنا فى تجنبه والفرار منه ؟

لو عرفت أنى سأنتهى الى هذا المصير ، لسلكت اليه امون السبل .. ولو عرفت أنه سواء علينا كنا مخلصين أو متافقين .. وسواء كنا من أصحاب المبادئ والمثل ، أو كنا أوغادا لثاما .. وسواء كنا ذوى قلوب عامرة بالايمان والحب ، أو كنا ذوى قلوب جامدة قاسية ، فإن مالنا واحد ومضيرنا لا يتبدل .. لو كنت اعرفه هذا للفظت المبادئ وحطمت المثل ، ولسرت الى مصيرى حتى يلقته ، جامدة القلب ، عديمة الحس .. خائنة كاذبة منافقة .. كثيرى من الكائنات الخائنات المنافقات .

كنت صغيرة ، ولم اكن اتصور الحياة قط يمكن أن تمنع بنا فى السخرية الى هذه الصورة ... وكنت أحاول دائما أن افكر بعقلى السليم وتفكيرى المتزن .. وكنت انظر الى الحياة نظرة هادئة مستوعبة ، أحاول أن اضع الشيء دائما فى موضعه .. وكنت اهدفه فى حياتى الى أشياء ما ظننت قط أن الحياة ستبخل على بها .. وخاصة اذا ما سلكت اليها الطريق الصواب .. الذى يضمن لى أن يوصلنى اليها .

كنت دائما مخلوقة طيبة .. ما فكرت فى أن اؤذى أحدا ، أو اكبر على أحد .. ورغم هذه السنين الطوال التى قضيتها تحيطتى بمظاهر الغنى والثراء ما أحسست فى قرارة نفسى بمتعة من هذه المظاهر ، فقد كنت أكرهها وأكره أن أتميز عن سوى بما لا فضل لى فيه .

يوكت لا أرى فيها سوى مظاهر زائفة وشكليات تافهة لا يمكن أن
تبعث فى نفسى احساسا بميزة أو شعورا بفخر .

هكذا كنت دائما . . أرستقراطية ثرية فى مجرد المظهر ، أما فى
باطنى فقد كنت مخلوقة منطوية هادئة بسيطة طيبة .

كنت أقهم الحياة جيدا ، وأدرك مدى زيف مظاهرها ، ولذا فلم
أكن أطمع منها فى أكثر مما يمكن أن تطمع فيه أية فتاة بسيطة عاقلة ،
وهو أن أكون زوجة محبة وفية لزوج محب وفى .

ولم أكن أظن أبدا أن هذا المطلب بالأمر المستعصى ، ولم أكن أظن
هذه الأرض الواسعة ، ستدخل على فتاة طيبة بند طيب . . وكنت
أعتقد أن المخلوق الطيب إذا ما سلك الطريق السوي فلا بد له أن
يصل الى هدفه البسيط المعتدل .

ومع ذلك فقد اضطربت بى ظروف الحياة ، وأجبرتني على
الرحيل عن أرض الوطن ، ولم يخطر ببالى وقت الرحيل أن الغيبة
ستطول . . بل ظننت الرحلة مطافا قصيرا الى العودة منتهاه .

وكان الحلم الجميل يداعب نفسى . . وكان الأمل الحلو يتراءى
لى فى أفق الحياة المشرق . . وما أظننى كنت فى لهفتى على صنو
النفس بالشاذة التفكير ، أو المرتكبة أمرا ادا . فما كنت - كما
قلت - أكثر من فتاة ، وأى فتاة لا تتلف الى صنو النفس ، وتوأم
الروح ، وشريك الحياة ؟

لم يكن عجيبا إذن أن أتلف على الحب ، بل العجب كان فى ألا
أتلف عليه ، فتلك هى طبيعة البشر وأنا بشر قبل أن أكون غنية
أرستقراطية . . وحتى لو كانت الأرستقراطية تتلف قلوب الفتيات
بوتخذ مشاعرهن وتصيبهن بشنوء فى التفكير فقد كنت أنا غير
ذلك ، لأنى - كما قلت - كنت ضعيفة الاحساس بتلك المظاهر
مبغضة لها .

وهكذا رحلت عن أرض الوطن ، وبنفسى لهفة الى المجهول الذى يتلطف عليه القلب ويحن اليه الفؤاد .

وفى خلال الرحيل صادفته .. تلك المخلوق الذى استطاع أن يتقمص الأمل المنشود والأمنية الحائرة .

لا أريد أن أبرر حبى له ، أو أعلل أسبابه .. فانتهم أدرى بأن الحب شيء لا يمكن تعليله ولا تبريره ، اننا عندما نحب لا نستطيع أن نجد لحينا أسبابا أو عللا .. فهذا شيء يصاب به الانسان كائى مرض لا تجدى فيه أية رقابة .. انه شيء يفرض علينا فرضا .. لا سبيل لنا الى مقاومته ، ولا الوقاية منه .

هذا شيء مفروغ منه ، وقضية مسلم بها ، ولا اظن أحدا منكم بجاهله أو منكره ، فكما أن الانسان لا يملك أن يوقف الصواعق ، أو يمنع الزوايح ، أو يهدئ الزلازل .. فهو أيضا لا يستطيع أن يتقى أخطار الحب ، أو يتجنبه ، أو يجعل نفسه بمنجاة منه .

ورغم كل ذلك فانى لا أعدم المبررات التى قد تخفف من روعة هؤلاء المرتاعين ، وتحد من دهشتهم وذهولهم ، لأننى أحببت رجلا فقيرا من غير طبقتي !

لقد كنت فى حاجة الى الحب . وكان هو وحده - فى هذه الغربة الطويلة - الذى يملكه ، ويمرور الزمن وطول الغربة ، وفرط حاجتى الى تلك الحب ، لم أملك سوى قبوله . ومبادلتى اياه الحب المدخر فى قلبى للالاف المنتظر والخل المرتقب !

وهكذا وجدت الحياة قد كرمت وجادت على بآمنيتى ولكنها لم تمنحنى اياها بغير ثمن .. بل يثمن كنت على أتم استعداد لأن أدفعه عن طيب خاطر .

كان الثمن باهظا فى نظر الناس ، الناس المخدوعين يزيّف

٥. لأوضاع وأوهام المظاهر . أما فى نفسى فلم يكن باهظا بل كان اتفه
من أن يسمى ثمنا .

لقد رأى من حوا ، فى حبى له ، قلبا للأوضاع وخرقا للثقاليـد . .
ونصحونى بأن أعدل عن هذا الحب ، وأنبأونى بأنى ما زلت فتاة
طائشة مخدوعة بأوهام الحب ويريقه الزائف الخداع ، وأن هذا
الطريق للسرابى الشائبك الذى أحاول السير فيه والذى اتوهمه مليئا
بالورود والرياحين . . لن يلبث حتى يذهب سرا به ، وتذبل وروده ،
وتبدو وحشته وقفره .

ولكنى لم أبه لأرائهم . . فقد كنت مقتنعة تماما بمبادئى فى الحب
وأرائى . . وكنت أعرف تماما أن الطريق الذى أوشك أن أسير فيه
سيحقق بغيتى وينيلنى مطلبى .

وهكذا أصررت على المضى فى طريقى ، وأصروا هم على أن أتجنبه
وأنكص عنه ، ولكنى ضربت بأصرارهم عرض الحائط ، فثارت ثائرتهم
وجن جنونهم ، وهددوني بأن يحرموني من الارث ويتخلوا عني
ويعلنون براءتهم منى .

هذا هو للثمن الذى كان على أن أدفعه . . ثمن فادح فى مظهره
. . يخس فى حقيقته . . لقد هتف بى القلب الخفاق النشوان : ادفعى
الـثمن فإنه يستحق أضعاف أضعافه .

ودفعت الثمن راضية مغتبطة ، ورضيت من أجله بأن أفقد عطف
الأهل والأصدقاء ، وأن أقطع كل صلتى بمن عداه ، وأن أبدو فى نظر
الناس طريـدة مشردة منبوذة .

ومع ذلك فما أحسست قط بأى ندم ، وما رأيت فى فعلتى أية
تضحية . . فقد كان كل ما خسرتـه من عطف ومال لا يكاد يعادل مثقال
ذرة واحدة من الهناء الذى كنت أحسه بقرىه .
وتزوجنا وبدأنا حياتنا معا . . حياة رغبة . . هائلة . . بسيطة

• • • كان كل همى فيها أن أهىء له الراحة ، وأبدو له قريرة راضية ، وأزِيل من نفسه أى احساس بأنى قد ضحيت من أجله • • ولم يكن ذلك بالأمر العسير ، فقد كنت فعلا قريرة راضية قانعة ، وما كنت أحس قط أنى قد فعلت أية تضحية •

• • • وموت بنا الأيام الأولى للزواج ، وأنا أتمتع بقدر من السعادة • • ما أظن أن الثراء والمظهر كانا يستطيعان أن يهيئا لى شيئا منها • • لقد تحققت مبادئى فى الحياة • • وثبت لى أن المخلوق الطيب إذا ما سلك الطريق السوى ، فلن ييخل عليه القدر بتحقيق أمانيه • • وأن خير ما نفعله فى الحياة لكى تضمن سعادتنا هو أن نختار الهدف الصائب ، ثم نسلك السبيل اليه متخطين فى عزم كل ما يصادفنا من عقبات تحاول أن تجنبنا الطريق • • ونغرينا بغيره •

• • • وكان يعاودنى حنين الى الأهل بين أونة وأخرى • • ولكن قريه كان يصبرنى على فرقتهم • • وكان فرط محبته وتقديسه لى يبعث فى نفسى عزاء دائما عن كل ما فقدته من عطفهم ، وتقنعنى أنه يستحق أن أفقد من أجله كل شيء •

• • • وانقضت الفترة الأولى من الزواج ، ونحن فى عزلة تامة عن الناس • • وكنت دائمة الضحك والمرح ، محاولة فى كل وقت أن أبدو ما يمكن أن يخيم علينا من سحب السامة والملل • • وقد تتساعلون : من أين تأتى سحب السامة والملل ، وعلى من تخيم ، وأنا القانعة الراضية الهانئة ، وهو الذى ما كان يحلم قط بأن يلقي مثل هذه التضحية ؟

• • • ولكنى لا أجد مفرا من الاعتراف • • بأنى رغم كل ما فعلت من أجله لم أستطع أن أمنع هذه السحب من التسرب داخل وكرنا والاحاطة به • • وبدا لى أنه لا يحاول كثيرا أن يعاودنى فى مهمتى وأنه لم يعد يهمه أن يكتم ضيقه • •

وهكذا وجدت نفسى رويدا رويدا فى موقف عجيب ، وتطور الأمر
بى حتى انقلبت الآية بيننا ، فبت أستجدى مرضاته بعد أن كان يتلهف
على رضائى •

وبدأنا نخرج الى المجتمع ، ونختلط بالناس ، فقد أدركت أن طول
الوحدة يوشك أن يعصف بحياتنا ، والتمست له العذر فيما أصابه
من ملل ، لا سيما أنى وجدته - بعد طريقته الجديدة فى العيش ،
واختلاطنا بالناس - قد عاد الى سابق رضاه وذهب عنه سخطه
وتبرمه •

ومرت بى بعد تلك فترة عجيبة لم أكن أدري أنا نفسى مبلغ رضائى
عن الحياة ، ولا مبلغ سعادتى وهنائى •• ولكن الشئ الذى كنت
واثقة منه هو أنى كنت أبذل كل جهدى لأحافظ على سعادتى •• فقد
كان يفزعنى أن أجد نظريتى فى الحياة قد خابت ، وأن نظرية من
حولى قد أصابت ! وأن قولهم عن الطريق السرابى والورود الذائلة
يمكن بمثل هذه البساطة والسهولة أن يتحقق •

لقد كرهت أن تقشّل جهودى فى الاحتفاظ بحياة مثلى ، وتفشل
لغير ما سبب معقول ولغير ما ذنب جناه أحد •• سوى خمود
المشاعر وركود الحياة ، وصممت على أن أبذل كل ما فى وسعى حتى
لا أكون موضع شماعة الشامتين •• وأخذت أتفانى فى حبه وخدمته
•• وفعلت ما لا تقبله خادمة كرم معها القدر فأغرى بها سيدها
وأقدم على زواجها •• فهى تحاول الاحتفاظ به !

أجل ! لقد انقلب الحال فبدا كأنه هو صاحب التضحية •

ولم أكن أشك فى أن المثابرة والتصميم وقوة العزيمة والصبر
يمكن أن تبلغنا أمانينا وتحقق مآربنا ، مهما بدت صعبة التحقيق
بعيدة المثال •• ولقد صدق ظنى فبدأت أستعيد رويدا رويدا أرضى

المفقودة من السعادة والهناء وأحسست أنني أنقذت حياتي من شر الملل والسامة .

وهكذا استعدت رضا زوجي ، واستعدت هناعتي . . باستعادته هناعته ، واستطعت أن أجزم أن ملله وقبرمه لم يكن أكثر من عارض طارئ .

هذا هو ما استطعت أن أجزم به . . حتى حدث ذات صباح حادث بسيط تافه .

كنت في خارج الدار أبتاع بضعة حاجيات كنا في حاجة اليها ، وكنت أتممت كل أعمالي التي تعودت أن أقوم بها في البيت في كل صباح من تنظيف الآثاث وترتيبه وكذلك أعددت الطعام اعدادا مبدئيا ، وتركتها للخادمة حتى يتم نضجه .

وكان زوجي قد ذهب الى عمله . . ولم يكن يعود منه قبل الساعة الثانية .

وقد عقدت العزم على أن أعود الى البيت في الساعة الواحدة حتى أتأكد من أن كل شيء على ما يرام . .

ووصلت الى البيت والساعة تدق الواحدة ، وحثت الخطى على الدرج حتى وصلت الى الباب ودفعت في ثقبه بالمفتاح الذي كنت أحتفظ به معي ، وهرولت الى المطبخ لأطمئن على الطعام ، فوجدت القدر يفور ولم أجد الخادم ، وبحث عنها في الحمام فلم أجد لها أثرا . . وكان أول ما مر بذهني هو أنها قد هربت ، وخشيت أن تكون قد سرقت بعض الحلوى والنقود ، فأسرعت الى حجرتي لأطمئن على الصندوق الذي أضع فيه الأشياء الثمينة وأغلق عليه دولا بملابسي .

أسرعت الى حجرتي ودفعت الباب ، ولكني لم أتقدم الى دولا ب الملابس ، فما كانت بي هناك من حاجة الى الشك في أنها قد سرقت

نقودي أو حليى ٠٠ لأنى بنظرة واحدة استطعت أن أتبين أنها قد
سرت شيئا أثمن من هذا ٠
لقد سرت زوجى !
أجل ! لقد وجدتها هناك فى حجرة نومى ، وعلى فراشى ويجوارها
الرجل الذى ضحيت من أجله بكل ما أملك ٠
لقد ضحى بى هو من أجل خادم !
ومرت بذهنى فى سرعة البرق ٠٠ المبادئ السامية ٠٠ والأهداف
العالية ، والحياة المثلى ، والتضحية ٠
ولم أستطع أن أكنم ضحكة ساخرة انطلقت من شفتى ٠
اذن فقد كانت هى التى نجحت فى تبديد سامته وتبرمه ٠
لقد كانت هى وحدها ٠٠ ولم تكن جهودى أو تقانى فى حبه
وخدمته وراحته ٠ لم يكن تصميمى وعزمى ومثابرتى وصبرى هو
الذى حقق أملى فى أسعاده ، بل كانت هى !
وتخيلت الأهل والصحاب الذين ضريت بأقوالهم عرض الحائط ،
والذين قلت لهم أن الحب هو كل شيء ٠٠ تخيلتهم حولى يرون المنظر
الذى أبصره ٠٠ ترى ماذا هم قائلون ؟
أقسم أن أفكارهم عندما حذرونى لم تكن قد وصل بها توقع السوء
والخذلان ، هذا الحد ٠
ورأى الصمت على الحجرة لحظة ٠٠ صمت الذهول والدهشة ،
ثم وجدت وجهه قد علاه الحقد والغضب ٠٠ وسمعته يصرخ بى أمرا
اياى بالخروج ٠
هكذا ! أنا أخرج ؟ طبعاً ٠٠ لقد قطعت عليه متعته ٠٠ وشاركته
فى خلوته ٠
وجن جنونى ، فقد وقع على فعله وقرع الصاعقة ٠

وتطايير من نفسى الحب والطيبة والخلق والهدوء والاستكانة ،
 تطايير كل هذا ٠٠ ولم يبق فى نفسى سوى احساسى بالجرح ٠٠ ووقع
 بصرى على مسدسه الذى يحتفظ به فى دولابى ٠٠ وبحركة لا ارادية
 مددت يدى ، وتحسس أصبعى الزناد ، ثم ضغطت عليه .
 وفى لمح البصر انطلق الدوى ، ثم وجدته أمامى يتلوى فى الفراش
 متخبطا فى دمائه !
 وأحسست براحة شديدة ، ولم يملكنى أقل ندم ٠٠ وغادرت
 الحجرة وارتعيت على أقرب مقعد .

★ ★ ★

انهم سيبرثون ساحتى ٠٠ ولكن سواء عندى البراءة ام الادانة
 ٠٠ فما عدت أهدف فى الحياة الى شيء .
 لقد كنت فتاة طيبة مصلية ٠٠ ولكنى الآن لا اشعر فى الطيبة
 والصلاة بأى عزاء .
 شيء واحد هو الذى أجد فيه عزائى ٠٠ ولو كنت أعرف أن هذا
 هو مصيرى لسكنت اليه من أول الأمر أهون السبل :
 اسقنيها فقد رأيت بعينى فى قرار الجحيم أين مكانى

٦ رجال

رجل مفرور

وصمت برهة .. وحلا لي أن أقبل التحدى ..
وإن أريهم أتى على مرحى وميلى الى المزاح .. قدير
على الجد ، حلال لمستعصى الأمور ، وأنى سأتى لها
بما لا يستطيعانه .

كنت أظن نفسى عاقلا .. وكنت أظن التجارب والسنين قد أحاطتني
بستياح منيع من الحكمة والتبصر .. كنت أظن ذلك .. حتى حدث
ما حدث فعلمت أنى ما زلت مفرورا مافونا .

وأنى سأظل الى الأبد طفلا كبيرا ، وأنى خدعت نفسى فحملتها من
الثقة ما لا طاقة لها به .

بدأت القصة بلقائنا فى لبنان .. عائلتان مصريتان تبتغيان الراحة
والسكون فى مصيف هادئ .

وكان للقائنا فرحة شديدة .. يعرفها الغرباء الحائرون عندما
يلتقون ببني أوطانهم فى أرض غريبة .

ولم يكن هذا أول لقاء لنا .. فقد كانت بيننا معرفة قديمة نشأت

عن زمالة الزوجتين في أيام الدراسة وعن صداقتي للزوج صداقة
اللقاء العابر والتحية الخاطفة .

وجمعنا في ضهور الشوير فندق واحد وسكن متجاور وسرعان
ما توثقت عرى الصداقة حتى أضحينا عائلة واحدة .

وكانت عائلتي مكونة مني ومن زوجتي ومن ابنتي في السابعة ،
وابني في الثالثة ، أما العائلة الأخرى فكانت تتكون من الزوج
والزوجة وابنتهما الكبرى في السادسة عشرة وابنتهما الصغرى في
الثامنة .

وكنا نكون في جلستنا شلتين . . الشلة الكبرى مكونة من الأربعة
الكبار : الزوجين والزوجتين . . والشلة الصغرى مكونة من الأربعة
الصغار : الثلاث بنات والولد .

ورغم تفاوت الأعمار في الشلة الصغرى فقد كان الانسجام بين
أعضائها تاما والاتصال وثيقا ، وكانت تتزعمها ليلي الابنة الكبرى
لصاحبى ، ولم تكن تبدو في لهوها أكثر من طفلة غريبة لا قارق
بينها وبين ابنتى .

وفي ذات ليلة وقد جلسنا - أعنى الشلة الكبرى - نتسامر في
أحدى شرفات الفندق سمعنا صراخا صادرا من حجرة الأولاد
قصاحت زوجة صاحبى تتسائل ، وقد استطاعت أن تميز في الصراخ
صوت ابنتها الصغرى :
- ما بك يا كوثر ؟

وسرعان ما أطل علينا وجه ليلي وعليه سيماء الغضب واجابت
أما :

- لقد ضربتها يا ماما . . لأنها مزقت فستان العروس الذي
صنعت له . . ورسمت بالقلم في إحدى كراساتى ، وقد حذرتها من
ذلك مائة مرة .

- أسكتيها يا ليلي وصالحيتها .. فلست أريد أن أسمع صوت
بكائها .. كوني عاقلة يا ليلي فانك أنت الكبرى .
- وماذا أفعل لها ؟ لقد غاظتني .. ولا بد أن أؤدبها .
- وهزت ليلي كتفها ثم اختفت داخل الغرفة .
- ووجدت الأب يهز رأسه أسفا ويضرب كفا بكف ويقول :
- لست أدري متى ستكبر هذه البنت .. فيما مضى كانت البنت
لا تبلغ السادسة عشرة الا وقد صارت امرأة لها ثلاثة اولاد ..
واليوم وقد بلغت السادسة عشرة فهي ما زالت تتعارك مع اختها من
أجل فستان العروسة .. ترى متى تعقل وتكبر ؟ !
- وضحكت .. اذ لم أر المسألة تستحق كل هذا الأسف من صاحبي
وقلت له مهدئا :
- بكرة تعقل وتكبر .. دعها تتدلل في كنفك وفي عزك .. علام
العجلة ؟
- أظن ستة عشر عاما كانت كافية لأن تعقل وتكبر وتقدر ..
ولكنها للأسف لا تقدر شيئا .
- وماذا تريد منها أن تقدر ؟
- وأجابت الأم ضاحكة :
- تقدر طبيعة الأوضاع في الحياة .. وتفهم أنها لا بد أن تصبح
عما قريب زوجة مسئولة عن بيتها وزوجها وأما مسئولة عن اولادها .
- هذه أشياء ستفهمها مع الزمن .
- انها لا تريد أن تفهمها .. انها لا تريد أن تفهم سوى اللعب
والعرائس والمدرة والتلميذات .
- ولكن ماذا يقلقكما من هذا ؟ وأي شيء يدعوكما الى التعجل
فيه ؟
- يقلقنا أنها مخطوية .. ولكنها ترفض الخطوية . ترفضها

وقثور عليها بطريقة صبيانية جاهلة بلهاء .. كأنها تظن أنها ستظل طيلة عمرها صبية تلعب فى بيت أبيها .

– ولكنها على أية حال صغيرة ، وليس هناك خوف من أن تفلت منكما فرصة خطوبتها هذه .. ان القرص ما زالت كثيرة .

وساد الصمت برهة أشعل الأب فيها سيجارقه ثم عاد يدلى بحجته قائلا :

– أولا .. هى ليست صغيرة بل كما قلت لك فتاة فى السادسة عشرة يعنى امرأة ناضجة .. وفترة الضوبة قد تستغرق سنة أو سنتين .. فهى والحال كذلك لن تتزوج قبل الثامنة عشرة ، ولا أظن أن هذه السن تعتبر غير ملائمة للزواج . أما من حيث أن القرص ما زالت كثيرة فانا لا أرى هذا .. أن الخطيب شاب مثالى لا عيب فيه ولا هنة .. انه مهندس نابغة .. كريم الخلق ، طيب الأصل .. وافر الثراء .. حسن المظهر .. كل شيء فيه ممتاز .. ولست أظن الانسان يصادف مثله كثيرا فى الحياة .. فمن الغباء أن نرفضه لمجرد أنها لا تفهم طبيعة الأوضاع فى الحياة .. انى اعتقد أن هذه القرص لا تقبل على الانسان الا مرة واحدة .. فمن الحمق أن نتركها تفلت .

ووجدته على حق .. فالفتاة ناضجة شكلا وجسدا .. وفرص الزواج الصالحة ليست متعددة فى أيامنا هذه ، فاذا كان الخطيب ، كما وصف ، فمن الحمق رفضه .. ان الفتاة الحمقاء المدبلة لا تريد الزواج لأنها لا تعرف ما هو الزواج .. ولأنها تظن انها يجب أن تظل هكذا ترتع فى كنف أبيها .

وعجبت من ظروف الحياة .. كيف يبتلى بعض الناس بالنعم .. لأن حالة هذه البنت يعتبرها بعض الناس نعمة ، فانا أعرف أناسا يشكون من فجور بنات هذا الجيل ومن أن البنت أضحت وهى فى

الثانية عشرة تفهم كل شيء ، وأنها عندما تبلغ الرابعة عشرة يحطم قلبها ما لا يقل عن عشر حوادث عشق ، وفي السادسة عشرة تشكو من أنها أصبحت عانساً بائرة •

ولم أملك سوى الضحك وقلت لصاحبي وزوجته :

- يبدو لي أن الذنب ننبكما •• فقد كان يجب عليكما أن تتفاهما مع البنات وتصادقاهما ، ولا تتركاهما هكذا تمضي جل وقتها مع الأطفال الصغار ولا تعاملها كما تعاملان اختها الصغرى •• على أية حال لست أرى المسألة مستعصية الحل ويخيل لي أن حلها يحتاج إلى بعض الصبر في محاولة اقناعها وإفهامها •

- لقد حاولت عبثاً أنا وأمي •• أن عقلمها زاهر بالتفاهات ، أنه لم ينضج بعد ، بل هو ما زال عقل طفلة غريبة •

- لا •• لا •• هذا كلام لا أفهمه •• يجب أن تبدل بعض الجهد • وأجابت الأم يائسة :

- لقد بذلنا كل ما في وسعنا لاقناعها بقبول الخطيب ولكن جهننا ذهب سدى •

- الجهد لا يكون باقناعها بقبول هذا الخطيب بالذات بل يجب أن يبدل الجهد لإفهامها طبيعة الحياة •• ولتوسيع مداركها وإيقاظ وعيها ونقل تفكيرها من تفكير طفلة إلى تفكير امرأة يجب أن تخرج من تلك الركود الذهني •

- لا فائدة •• أنها مصرة على أن تكون طفلة •• ومصرة على رفض الخطيب •

ولكنني مع ذلك لم أقنع بأن حالة الفتاة مستعصية الحل ، بل بدا لي أنه يمكن علاج الفتاة بشيء من الأناة والصراحة ، وخيل لي أنني أستطيع أن أمد يد المساعدة وأنني قد أكون أقدر منهما على تنمية تفكير الطفلة لا سيما وأنه لا يقوم بيني وبينها ذلك الحجاب الثقيل من احترام الأبوين وخشيتهما •

أجل .. أنتى أقدر بلا شك على التفاهم معها .. فأتانا مخلوق
مرح مهزار لا اعتبر كثيرا قيم الأعمار والمراكز .. بل كثيرا ما اندمج
فى اللعب مع الأطفال حتى كأنى واحد منهم .

والطفلة نفسها لا تنفك تدعونى الى اللعب معهم مناديتى مازحة ..
« أنكل جو » سائلة أياى أن اصنع لهم طيارة أو زماره .

ولم أكن أرفض اللعب أو أخجل منه .. رغم ما كنت أتهم به من
الهيافة .. بل كنت أقضى الساعات لأهيا عاديا قافزا وأثبا ..
مستمعا الى شكواهم .. قاضيا فى نزاعهم .. وهم يمسون بخناقى
ويقواثبون على كتفى .

كنت أنا الذى أهبط الى مستوى الطفولة التى ترتع فيه البنية ..
وكانت هى التى تشدنى إليها .. من أجل الضحك والمرح واللعب .
أفلا أستطيع - وأنا « أنكل جو » صديقها الحميم - أن أرفعها
مرة الى مستوى الفهم والادراك والتقدير .. من أجل مستقبلها ؟

دار كل هذا فى رأسى خلال فترة الصمت التى أعقبت النقاش ..
ويبدو أن المناقشة بين ثلاثتنا أنا والأب والأم . كانت لا بد مؤدية
الى نفس التفكير فى الرؤوس الثلاثة .. وأن ما دار فى ذهنى قد
انعكست منه صورة فى كل من ذهنيهما فقد سمعت الأم تضحك
ضحكة خافتة ثم تقول :

- لم لا تجرب أنت ؟ فقد تستطيع أن تنجح فيما فشلنا فيه ..
حاول أن تخرجها عن ذلك اللعب الصببائى .. فقد تفهمك وتستمع
إليك . أليست صديقها الحميم « أنكل جو » ؟

وضحكت زوجتى وقالت مازحة :

- لا تنتظرى منه خيرا .. انه لا يصلح فى أعمال الجد قط ..
أنه لا يجيد سوى اللعب بالتحلة والطيارة .. انه هو نفسه فى حاجة
الى من يرقعه من مستوى الطفولة .

وصمت برهة .. وحلا لى أن أقبل التحدى .. وأن أريهم أنى على
مرجى وميلى الى المزاح .. قدير على الجد حلال لمستعصى الأمور ،
رأى سأتى لهما بما لا يستطيعانه .

ورأيت الثلاثة يرمقوننى وعلى شفاههم ابتسامة انتظار . فقلت
متحديا :

- دعوها لى .. انى كفىل بها .. لن تعود من المصيف الا وقد
قبلت الخطيب .. من يراهن ؟
وأجاب الأب ضاحكا :

- لا ادعى للرهان .. فأنك لا شك خاسره .. يكفى أنك ستضيع
وقتك عبثا .

- بل انى أقبل الرهان أيا كان .. خمسة جنيهات لخمسة
ما راىكم ؟
- حسنا .. قبلت .

وغادرنا الشرفة ضاحكين .. وفى اليوم التالى بدأت العمل ..
لكسب الرهان ولكسب مستقبل الصبية وانقاذها من ثقافة تفكيرها .
وكننت أظن المسألة لن تستغرق منى أكثر من جلسة أو جلستين ..
افهم الصبية خلالها أنها قد كبرت وأنها لا بد أن تتحمل مسئوليتها .
فى الحياة كزوجة وأم .. وأشرح لها متعة الحياة التى توشك أن
تقبل عليها .. وكيف سيكون لها بيتها وكيانها فى المستقبل . وكيف
ستكون ربة أسرة وسيدة بيت .

لقد أخذت أحضر كل هذا فى ذهنى كما يعد المحاضر محاضراته ..
وكننت أعتمد كثيرا على لباقة لسانى وقوة اقناعى وعلى ثقة الفتاة
بى وعلى التفاهم الذى نشأ بيننا فى اللعب والمرح .
وصحبتها فى تزهة قصيرة فى الجبل فى الصباح المبكر .. زاعما
لها انى أريد أن أريها عشا للعصافير مليئا بالببيض الملون .

وقالت لى وهى تشير باصبعها مهددة :
- اياك ان تكون كاذبا .. انى لم ار من قبل بيضا ملونا
للعصافير ؟

- ستريين بعينك انى لا اكذب .
- لم نأخذ معنا سامية ونادية وجمال .
- انهم ما زالوا نائمين ولو تأخرنا لفقس البيض .
وسرت واياها فى الطريق الجبلى الخيق ، نهز ايدينا المتشابكة
ونصفر فى مرح وجذل حتى بلغنا صخرة صغيرة أشبه بالمقعد تشرف
على سفح الجبل المكسو بأشجار الصنوبر فطلبت منها الجلوس .
ولكنها سألتنى مستفسرة :
- أين العش ؟

وأخذت أتلفت حولى متصنعا الدهش قائلا :
- عجبا .. كان هنا بالأمس يا ليلى .. أين ذهب ؟ لقد كان فوق
هذه الشجرة بالذات . لا بد ان تكون الام قد نقلته .. على أية حال
دعينا نستريح .. وتحدث برهة .

وجلست بجوارى ونسيم الصبح الرطب يهب على وجهينا
والشمس ترسل مقدماتها الأرجوانية من وراء الجبل . وبدأت
المحاضرة .. محاضرة أقسم لكم أنها تعتبر من روائع الكلم ..
واحسست خلالها بأعجاب بنفسى ويقوة منطقى وذلاقة لسانى ..
وتوقعت فى نهايتها .. أو حتى قبل نهايتها أن تتركنى الصبية وتعود
راجعة الى أبويها .. ثائرة عليهما لتركها حتى الآن بلا زواج .
ولكن المحاضرة بلغت نهايتها والفتاة ما زالت جالسة بجوارى
وقد أخذت تتسلى بقضم أظفارها -

وقلت لها ناهرا :
- ليلى .. كفى عن قضم أظفارك .. لقد كبرت .. وكان مفروضا

عليك أن تتركى أناملك تنمو وتطليها بالمانكير بدل أن تقضيها حتى
يبود لحم أظافرك •

ثم صمت برهة تمالكت فيها نفسى وقلت مترقفا :
- ما رأيك يا ليلى بعد كل ما قلت ٠٠ ألا توافقين على الخطبة ؟
- لا ٠٠ لا يا أنكل جو ٠٠ لا أريد الزواج •
- لم يا ليلى يا حبيبتي ؟ • انك لم تعودى بعد طفلة ؟
- ولماذا أتزوج وأنا أشعر بمنتهى السعادة فى حياتى هذه ٠٠
ان لى ما أريد ٠٠ وأبى وأمى لا ييخلان على بشىء وهما يذهبان بى
الى السينما وقتما أشاء ، وما من شىء أطلبه الا ويحضرائه لى ٠٠
ألا تعلم انهما سيبتاعان لى دراجة ٠٠ بمجرد عودتى الى مصر ؟
سأتعلم ركوبها ٠٠ وسأعلم نادية ٠٠ وان لم تتعلم سأحملها
ورائى على المقعد الخلفى وسأزورك بها ٠٠ هل تجيد ركوب
الدراجات يا أنكل جو ؟
وأجبتها بزفرة حارة ٠٠ ونفخة مليئة باليأس ونظرت اليها شزرا
وأنا أضغط على أسنانى •

وسالتنى فى سذاجة وبراءة :
- ماذا أغضبك يا أنكل جو ؟! ألا تعرف ركوب الدراجة ؟ ٠٠ انى
استطيع أن أعلمك بعد أن أتعلم أنا •
ولم أجد هنا فائدة من المناقشة •
ماذا أقول لهذه الحمقاء الصغيرة ٠٠ وقد انتهت بها محاضرتى.
القيمة عن طبيعة أوضاع الحياة وقوائد الزوجية ٠٠ و ٠٠ و ٠٠
الخ ٠٠ الى أن تعرض على أن تعلمنى ركوب الدراجات !
وسحبته من يدها وعدنا أدراجنا ٠٠ وهى ما زالت تحدثنى عن
الدراجة التى سيحضرها لها أبوها •

وخجلت بالطبع أن أعرض عليهم نتيجة محاولتي .. وصممت على ألا أياس .. وعلى أن أحاول مرة ثانية .

أجل .. لقد اقتنعت بخطأ الطريقة التي اتبعتها ، وعزمت على أن أحاول بطريقة أخرى .. كان من الحق أن أحاول النجاح بسرعة . فأتبع الطريق المباشر القصير .. بدل أن أتبع الطريق الطويل غير المباشر .. الذي يحتاج إلى أناة وجد وروية .. والذي لا تبدو نتيجته جلية واضحة .. ولكنها ستأتي مع الزمن -

لقد فشلت طريقة الاقناع بالمحاضرات .. فعلى أن أتبع طريقة الاقناع العملى .

وفى اليوم التالى صممت على أن أسألها الخروج معى فى نزهة مبكرة .. ولم أكن فى حاجة الى التعلل بعش العصافير والبيض الملون .. فقد عرضت الخروج من تلقاء نفسها قائلة انها استمتعت بنزهة أمس .

وخرجنا فى الفجر نضرب وحدنا فى الجبل .. ولم أحاول قط أن أحضرها .. أو أن أرفعها الى مستوى التفكير والتبصر ، بل رحلت أعدو وراءها وتعدو ورائى ، وعدنا فى النهاية وبى عدد من الخدوش والجروح التى أصابتنى نتيجة تسلقى احدى الأشجار لأحضر لها بعض الزهور -

واستمرت نزھاتنا يوما بعد يوم .. وفى كل يوم يقل العدو واللعب .. ويزداد الهدوء والتأمل والتمعن .

لم أحاول أن أفعل شيئا .. ولكن النسائم الرطبة الخفاقة والشمس المتأبئة وراء الأفق .. والورق الهتوف والبلابل المصادحة ، والأوراق الخضرة تترنح وتتمايل على سفح الجبل قد قعلت شيئا كثيرا .. أكثر مما أتوقع .. ومما أحتمل .

لقد بدأت الصبية الطائشة التافهة .. ذات الطيارة ، والزمار

والدراجة .. تتمهل فى سيرها وتكف عن عدوها . وأضحت تتوقف بين آونة وأخرى لتشير بإصبعها الى هنا أو هناك ، ثم تهتف فى لهجة ليئة وصوت حنون :

— أترى هذا الغصن المحمل بالزهر ؟! انظر كيف يحركه النسيم .. ان القليل من الناس هم الذين يفتنون الى جمال الطبيعة .
— نعم .

— رأيت أجمل من شروق الشمس يا أنكل جو ؟
أجل .. لقد تبدل حديثها الى « أنكل جو » من حديث عن العرائس والدراجات الى حديث ملىء باستيعاب جمال الكون وفتنة الطبيعة .. وخفتت صرخاتها الجوفاء الضاحكة فأضحت همسات حنونة أشبه بالزفرات .. و « أنكل جو » بين هدوئها وتأملها وحديثها وهمسها ، يرقب التطور حائرا وجلا .

لقد كنت أستطيع أن أجزم من ذلك الهدوء انى قد كسبت الرهان .. أو على الأقل أوشك أن أكسبه .
ان الفتاة قد تبدلت وخرجت عن سربال الطفولة .. وكسرت البيضة التى كانت تضمها وتحجب عنها كل ما يتفتح عليه ذهن الفتاة وقلبها فى هذه السن وكشف لها ما يجب أن تهفو اليه روحها وتصبر اليه نفسها .

كان هدوء الفتاة وسكينة قلبها .. بشائر انتصارى .
ولكنى كنت أوجس خيفة .. خشية أن يكون هدوءا ينبىء عن عاصفة أو سكينة تستيق ثورة جامحة لا يعلم الا الله مداها ..
كنت أخشى الفتاة .
وشر من هذا .. كنت أخشى نفسى .
كنت أخشى على كليتنا من الآخر .
وبينت الأيام انى كنت من خشيتى على حق .

أذاك أمر غريب ؟
 قد يبدو كذلك ٠٠ ولكن لو حلل كلانا تحليلا صادقا لبدا الأمر
 غير عجيب ٠

ولو كنت أكثر حكمة وتبصرا لما زججت بنفسى فى هذا المازق ٠٠
 ولما نسيت نفسى فحملتها ما لا تحتل من الثقة ٠
 كيف كانت ليلى الصغيرة ؟ وكيف كنت ؟
 كيف كانت التجربة ٠٠ وكيف واجهتها ؟

وسط خمائل الجبل ، وبين الورق الهاتفة ٠٠ نسير متجاورين
 فى كل فجر ٠٠ فإذا ما جلسنا شردت الصغيرة فى الأفق البعيد ومدت
 يدها فى صمت تتلمس يدى ٠٠ فتعانق أصابعها أصابعى وتلاصق
 كتفها كتفى ٠٠ وتظل شاردة لا تنيس ببنت شفة ٠

فإذا ما هممت بسحب يدى ضغطت عليها مستبقية ٠٠ وإذا
 هممت بالنهوض نظرت الى نظرة استعطاف ثم سألتنى :
 - اتضايقت سريعا ؟ أما نجلس هنيهة أخرى ؟ ان الوقت ما زال
 مبكرا ؟

وكنت لا أملك الا الجلوس واستيقاء يدها فى يدى ٠
 وهكذا كنا نجلس ٠٠ صمت فى صمت ٠٠ ولا شيء سوى الصمت
 المطبق والأصابع المتعانقة والأكف الضاغطة ٠ وكنت أشعر أنه يجب
 أن أوقف هذه النزعات ٠٠ وأن أكف عن هذه الخلوات رغم أنه لم
 يشبها قط شيء ظاهر ٠

أجل ٠٠ كنت فى باطنى أحس أن ما لا يجب أن يحدث يوشك أن
 يحدث أن لم يكن حادئا بالفعل ٠٠ ان الظاهر صامت برىء ٠٠
 ولكن الباطن صاخب والحشا تضج ٠

كان يجب أن أوقف كل هذا ٠٠ وأن اضع له حدا ٠٠ ولكنى كنت
 أقزع من أن أخدش مشاعرها ٠٠ أو اسبب لها ضيقا أو حزنا ٠

وكننت أنا نفسى - رغم كل مقاومة - قريرا بالجلسة الصامتة ..
والأكف المتشابكة .

لقد انتزعتنى الصغيرة .. من كبرى وتجاربى وعقلى ..
كما انتزعتهما من طفولتها وتقامتها .. ولعبها .. لقد انتزع كلانا
صاحبه مما كان فيه من الركود .. والتقينا فى منتصف الطريق ..
بمشاعر مستعرة .. وأحاسيس متأججة .

ولقد كبحت جماح نفسى جيدا .. وبذلت المستحيل حتى لا أنسى
نفسى وموضعى .. ولا أندفع وراء القلب الأحيق الخفاق .. فأقدم
على أجن حب يمكن أن يقدم عليه انسان .. حب لا يمكن بأية حال
أن ينتهى الى نتيجة معقولة -

ولا أنكر أنى أفلحت .. الى أقصى حد .. وأنى لم أكن أفعل سوى
الجلوس بجوارها والشرود وترك يدها فى كفى مسترقا البصر من
أن لآخر الى جانب وجهها الحلو ، وأنفها الدقيق وخصلة شعرها
المهترزة على جبينها ثم أحول بصرى سريعا عندما أشعر أنها قد أحست
بنظراتى وبدأت تحول الى عينيها .. كنت أتجنب دائما التقاء
العيون .

لقد أفلحت فى هذا .. حتى جلسنا ذات فجر كما تعودنا ان نجلس
وأحسست بيدها تزداد ضغطا على يدى كأنها كانت تقول لى شيئا
.. كنت أفهمه جيدا .

وأخذت أرقب جانب وجهها والخصلة المهترزة على جبينها ..
حتى وجدتها تلتفت الى .. ورأيتها تضغط بأسنانها على شفقتها
السفلى كأنها تقاوم فى باطنها لما شديدا .
وعندما التقت أبصارنا أندفعت فى بكاء شديد .

ولم أملك الا أن أضمها الى وأخفى وجهها فى صدرى وأخفى
وجهى فى شعرها .

وظلنا على ذلك حتى كفت عن البكاء ثم عدنا ادراجنا وكان من
الجنون أن نستمر على ذلك .. فما أظن نفسي كنا تستطيعان أن
تحتملا أكثر .

وكان على بعد ذلك أن أفعل شيئاً .. فانتهزت فرصة ذهابها هي
وعائلتها الى دعوة في صوفر ، وحزمت أمتعتي وعدت وعائلتي الى
القاهرة في أول طائرة .

لقد عدت وأنا أشبه بالهارب المذمور .. الذي أطلق للريح ساقيه
.. قراراً من خطر داهم .

أتري كنت في قرارى جباناً ؟
كنته أو لم أكنه ، لقد كان هذا هو الطريق الوحيد لوضع نهاية
للأمر .

لقد كان على أن أحتمل ألم الفرقة مهما كان .. من أجلها ..
ومن أجل نفسي .

لقد تركتها بلا وداع .. فشر ما في الفراق وداعه .
لقد غادرتها بلا انذار .. الا من رسالة قصيرة .. ووضعتها تحت
حجر حيث تعودنا أن نجلس وحيث كنت واثقاً أنها وحدها .. التي
تستطيع أن تعثر عليها .

وما زلت أنكر ما كتبت وأحفظه عن ظهر قلب :
« أشعر يا ليلي أننا قد وصلنا الى حيث يجب أن نفترق ، ان لى
سبيلى ولك سبيلك .

ولقد أشركتنا الأقدار الهوجاء برهة في سبيل واحد وكان ذلك
منها تجربة قاسية مريرة ..

فقد كان من المستحيل أن نستمر في السبيل المشترك أو يجذب
أحدنا الآخر الى سبيله .

ولذلك فقد آثرت أن أتركك ملقاعاً محزوناً .. بلا عزاء عن قرعتك

سوى تلك المتعة التى جنيناها من لحظات سيرنا فى الطريق
المشترك .

لقد بدأت المسألة بيننا بسبب رهان .. فلقد راهنت أباك انى
ساخرجك من طفولتك وسأجعلك تقبلين خطيئك ، وأرجو ألا يخذلك
قولى .. وأن يعزبك عنه .. اننى - بكل حق - خرجت من كبرى
وحدث عن غرضي وأحبيبتك فعلا .

أرجو أن تساعدنى على كسب الرهان .. وأن تقبلنى خطيئك ..
وتسلكى سبيلك الخاص بك .. فان هذا سيكون لى خير عزاء .
ليس كل منا فى سبيله ، ولنجعل من حبنا ذكرى حلوة تعيننا على
تحمل مشاق الحياة .. وتسعدنا عندما تطبق علينا همونا .
أجل لنجعل حبنا بارقة نلتفت اليها كلما خضنا ظلمات الحياة .
اليس هذا خيرا من أن نجعله نارا تحرق قلوبنا وتدمر كياننا ؟
مزق رسالتى هذه ، حتى لا يبقى بيننا الا ما يستتر فى القلوب .
واذا كنت تتوین أن تحققى رجائى .. فخذى الرهان من أيبك
واجعليه هديتى فى عرسك »

ولم ألقها بعد ذلك الا وفى يدها طفلها ، وأقبلت على تشد على
يذى فى شوق وتقول ضاحكة :

- كيف حالك « يا أكل جو » ؟ هذا هو ابنى « جو » الصغير .
لم لم تسأل عنى ؟! لقد جعلتك تكسب الرهان ولكنى لم أمزق
الرسالة .. لأننى جعلتها كما قلت فيها:
« نكرى حلوة .. تعيننا على تحمل مشاق الحياة .. وتسعدنا
عندما تطبق علينا الهموم » .

رجل مخدوع

آه لو علم وقتذاك مدى حقارتهم وتفاهمتهم
وآه لو يعلم ان هذا الجنس ليس أكثر من وسيلة للتسلية
والترفيه .

آه لو علم هذا . . لو فر على نفسه الألم واللوعة . .
ولكنه كان معذورا . . فقد كان الحب الأول . .
وكانت الصدمة الأولى .

سقى الله الحب ورعاه . . فقد أضحى له فى نفسى منزلتان : الأولى
كشء ممتع يملؤنى بالسعادة عندما يفمرنى كما يفمر كل انسان . .
والثانية كمورد رزق أعيش منه ككاتب قصة أحترف الكتابة .

أجل . . انى أفيد من الحب مرتين : مرة عند التمتع به كحقيقة
واقعة . . ومرة عند الكتابة عنه كذكريات عابرة . وفى الأولى أقيد
متعة الحب ، وفى الثانية أفيد لذة الكسب .

انى لأعترف اننى كثيرا ما أصاب بتبلى ذهنى أشعر معه برغبة
عن الكتابة . . وأحس بالقلم فى يدى ثقila مكسالا . . بطيء الحركة

كأنه السلحفاة .. واقفاً فى مكانه وقفة شتيرة .. وتمر بى الأيام وأنا مضرب عن الكتابة وقلمى معرض عنى حتى يقترب موعد القصة .. ولا تصبح المسألة مسألة « كيف » بل مسألة واجب .. لا بد من تأديته -

ويضيق بى الحال .. فألجأ الى الحب وذكرياته أستثيرها فى نفسى .. وأوقظها من شجعتها .. واستاقها كى تستحث القلم المضرب المعرض .. فإذا بها تفعل بى وبه فعل السحر .. وإذا بالقلم المتخاذل قد اندفع على الورق .. كأنه فرس رهان -

وقبيل أن أبدأ قصتى هذه .. أحسست بذهنى ذلك التبدل والركود .. وأمسكت بيضعة صور لفتاة أعطانيها صاحب فنان عليها تصلح لبعض القصص .. وأخذت أقلب فيها البصر .. ولم أكن أعرف من تكون الفتاة .. فما رأيته من قبل .. وكل ما أعرفه عنها أنها حسناء حاول أن يتخذ منها المصور نموذجاً لفته .. ورأيتنى أتوقف عند إحدى الصور لأمعن البصر فيها قليلاً .. ورأيت الذهن يصحو من غفوته ثم يعود بى القهقري الى زمن ولى .. حتى يقف أمام صورة من صور الماضى .. ما أشبهها بهذه الصورة .. الملقاة - أو المستقلية - أمامى .. لا فرق بين أحدهما والأخرى .. إلا أن الأولى من دم ولحم ، والثانية لا تعدو ظلالاً على ورق .. الأولى صادفتها منذ خمسة عشر عاماً فكانت لى - فى فترة ما - كل شيء .. كانت الروح ، وكانت الحياة .. والثانية أقلبها الآن بين يدي .. فلا أجد فيها أكثر من صورة ، أتمسك بها تكريات عابرة .. تذكريات .. هى كما قال الأستاذ الشناوى (صاحب الخطايا) : « شيبتنى .. شيبت حتى صبايا » -



تبدأ القصة فى المدرسة الثانوية الملكية (الخديوى اسماعيل

الآن) ٠٠ منذ خمسة عشر عاما اى فى حوالى عام ١٩٣٢ وقد جلس الصبية فى أحد فصول السنة الثالثة ٠٠ بينما أوشك الجرس أن يؤذن بانتهاء الحصة الأخيرة ٠٠ وبدا الصبية قلقين متلهفين على الانطلاق من الحجرة كأنهم أسرى طال بهم الشوق الى أوطانهم ، وقد جهزوا كتبهم ووضعوها بجوارهم على المقاعد ، حتى لا يضيعوا لحظة واحدة فى الفصل بعد أن يقرع الجرس .

قرع الجرس ٠٠ وهبت المدرسة كلها فى هرج ورج وطنين كأنها خلية نحل ٠٠ وتكاكأ الصبية على الباب يتسابقون الى الخروج كأن بداخل المدرسة من يسوقهم بالسياط أو كأنما ينتظروهم خارجها كنز أو وليمة ٠٠ فلا يكادون ينفذون من الباب حتى يتفرقوا شيعا وافواجا ، فالبعض الى ميدان لاطوغلى ، والبعض الى شارع خيرت ، والبعض الى ميدان السيدة أو المنيرة .

ودلفت ثلثة صغيرة فى شارع خلف المدرسة فى تلك الجهة المعروفة باسم « جنينة رشيد » ، وسار الصبى بينهم وقد انزلق طربوشه على مؤخرة رأسه وأخذ يطرح بحقييته فى يده ويقذف بقدمه كل حصة أو حجر يصادفه ، حتى بدا طرف حذائه من فرط اصطدامه بالحجارة حائل اللون أجرب .

وتوقف الصبية أمام سور حديدى لدار فخمة ، وأخذوا يطلون من خلال السور على الحديقة الغناء ٠٠ فقد أثار اعجابهم بعض الورود المتفتحة اليانعة ، وأخذوا يتأمررون على قطفها ، وهموا فعلا بالتسلل الى الداخل ، ولكنهم لحوا الحارس قداميل ، فلم يسمعهم الا أن يولوا فرارا قانعين من الغنيمة بالاياب .

ولكن الصبى لم يقنع بالاياب ، فقد كان بنفسه لهفة الى الغنيمة ، اذ وجد فى الورود خير وسيلة يتقرب بها الى تلك الصبية الغاتنة التى قطنت حديثا فى الدور الأسفل ، وعاد الصبى الى داره وقد

أخذ يحكم وضع الخطط في رأسه ، وكان أول ما أنبأ به أهله هو أنه سيعود الى المدرسة لأن لديهم حفلة في هذا المساء ، ولم يكذ الخلام يخيم حتى انطلق من الدار الى حيث الغنيمة .

واقترب من السور فلمح الحارس قابعا في مكانه ، فاستمر في سيره حتى وصل الى حجر قبالة الدار فجلس عليه يرقب غفلة من الحارس ، ولم يطل به الانتظار فقد أبصره يغادر مكانه .

وجد الصبى الفرصة قد سنحت أخيرا ، فقفز من مكانه ودلف من الباب مسترقا الخطا ، وأخذ يتسلل في الحديقة حتى وصل الى الورود وكان القمر قد غمر المكان بضوئه ، فلم يجد صعوبة في العثور عليها ، وأخذ يقطعها الواحدة تلو الأخرى ، حتى أحس فجأة بحركة بجواره فاصابه فزع شديد وتلفت حوله الى مصدر الصوت ، فتصيب العرق باردا من جبينه ، وأحس بارتياك شديد .

ويحه ! لقد كان هناك من يرقبه منذ أن بدأ سرقة ، لقد أبصر بوجه ساحر افتر عن ابتسامة عذبة فاتنة ، وبعينين ضاحكتين قد أخذتا ترقبانه في لين ودعة ، وقد اضطجعت صاحبتهما فوق الحشائش الخضراء متخذة من ذراعيها العاريتين متكأ تسند اليه رأسها وشعرها الفاحم .

واضطرب الصبى ، ولكن ابتسامة الفتاة أعادت الى نفسه الطمأنينة ، فأبعد عن نفسه فكرة الفرار ، اذ كره أن ييبدو امامها بمظهر اللص الرعديد ، وأخذ يجهد رأسه في عذر ينتحله امامها كي يبرر به موقفه .

وأشار لها بتحية خفيفة من يده ، فنهضت متكئة على احدى يديها وردت عليه التحية ، وتكلم هو بصوت هادئ مترن فرجاها أن تنبئ البواب بأنه قد قطف الورود التي طلبها عبد الرحيم بك ، وأنه سيحملها اليه بنفسه ، ثم أعطاها ظهره وانساب الى الباب في هدوء

وسكون ٠٠ ولم يكد يبتعد قليلا ويختفى عن ناظرها حتى أطلق ساقيه للريح ٠

وبات ليلته يحلم بذلك الوجه الباسم الذى اضطجع على أرض الحديقة والذى ضبطته صاحبتة متلبسا بجريمة السرقة ٠ واستيقظ فى الصباح فوجد الوجه ما زال يشغله فى يقظته كما شغله فى نومه ٠ وذهب الى المدرسة ٠ وتتابعت عليه الدروس ٠ وهو لا يفهم كلمة مما يقال ٠ فقد كان ذهنه شاردا فى عالم آخر ٠ وكانت عيناه لا تبصران سوى صورة الفتاة راقدة تبسم له ٠

وانتهت الدراسة فتعمد أن يتأخر عن رفاهه ٠ حتى يعود وحيدا فقد كانت بنفسه لهفة الى أن يراها مرة أخرى ولكنه لم يلمح لها شيئا فى الحديقة أو فى الدار ٠

ومرت الأيام وصورة الفتاة قد شغلته عن كل شيء ٠ حتى عن تقديم الورود الى صاحبتة التى قطفها من أجلها ٠ وحاول جهده أن يبصرها مرة ثانية ٠ ولكن الفشل كان نصيبه حتى بات يخشى أن تكون الفتاة طيفا صورته له الأوهام فى تلك الليلة ٠

وأخيرا ٠ رآها ٠ على غير ترقب منه أو انتظار ٠ وأحس بارتباك شديد ٠ وحاول أن يستعيد لنفسه تلك الأحاديث التى كان يعدها ليلقيها اليها فى أول لقاء ٠ ولكن كل شيء كان قد تطاير من رأسه ٠ وأحس بأنفاسه تتلاحق وخيل اليه أنه قد بات يسمع دقات قلبه ٠

وأخذت الفتاة فى الاقتراب منه وقد تابطت ذراع صديقة لها ٠ وحاول هو أن يقول شيئا ٠ ولكنه لم يتذكر أى شيء ٠ لقد كان عاجزا عن التفكير ٠ عاجزا عن الكلام ٠ حتى لكأنه أمام لجنة امتحان الشفوى ٠

وابصرت الفتاة فيدا عليها أنها قد تذكرته ، فقد نظرت اليه فى

شيء من الدهشة ، ثم وجهت الحديث الى صاحبته ضاحكة ..
واستطاع أن يسمع من حديثها كلمتين هما : « حرامى الورد » ..
إذا لقد اكتشفت الفتاة حقيقته !
ولم يشعر بخجل من تلك الكلمة .. بل على النقيض ، لقد أحس
بفرحة شديدة .. فقد تبين أنها على الأقل ما زالت تذكره وكان لسان
حاله يكاد يقول :

لئن ساءنى أن تلتنى بمذمة فقد سرنى أنى خطرت ببالك
لقد عاد الفتى الى داره وهو يحس بسعادة لا توصف .. لقد
عرفته الفتاة ، وكان ذلك أكثر مما يتوقع ويتمنى .

ولاحظ أهل الفتى ورفاقه ذلك التبدل الذى طرأ عليه وذلك التحول
العجيب الذى بدا فى مسلكه وتصرفاته .. فقد انقلب فجأة من صبي
عابث الى فتى رزين متئد .. وكان طربوشه وحذاؤه اول ما تناوله
نلك التبدل والتغيير .. أما الطربوش فقد اقلع عن الانزلاق على
مؤخرة رأسه .. وبدأ يستقر فى ميل شديد على أحد حاجبيه ..
وأما الحذاء فقد كف تماما عن قذف الحصى والحجارة وعاد اليه
لونه ولعانه وأحس بأن صاحبه قد أضحى « بنى آدم » ، وليس عفريتاً
من الجن أو شيطانا من الشياطين .

لقد ذاق الصبى - أو على الأصح الفتى - أول رشقة من رشقات
الحب .. وهبت عليه أول نسمة من نسماته .. ولا اظن أن هناك
إمرا الا وينكر نفسه فى تلك المرحلة التى أخذ يجتازها الفتى ..
وأعنى بها مرحلة الحب الأول ، بينما لم يزل يعد فى طور النضج ..
حين ينظر اليه الناس فى سخرية واستهزاء إذ لا يرون فيه غير غر
حدث .. وطفل ساذج .. ويبادلهم هو نفس النظرة .. فهو يرى
فيهم حمقى لا يستطيعون أن يفهموه .. لأن مداركهم أعجز من أن
تصل الى ذلك الشعور الذى يحس به ، وأبصارهم أقصر من أن تبصر

ذلك العالم المضيء الذى يحيط به ، وهكذا يرى الانسان نفسه بمعزل
عن الناس .. هو لا يفهمهم وهم لا يفهمونه .. هو فى واديه يهيم
وهم فى واديهم يهيمون .

ومن العبث أن أحاول وصف أحوال الفتى فى حبه الأول ، أو تحليل
مشاعره واحساساته .. أو أن أسرد محاولاته مع الفتاة لكى يفوز
منها بكلمة أو بنظرة ، لا سيما أن الفتى - رغم تلك الجسارة والجرأة
التي كان يظهر بها بين رفاقه - كان فى حبه من نوع انطوائى ،
يحيط نفسه بسياج منيع من الخجل والحياء .

ولكنى أستطيع أن أعطى صورة واضحة للقارئ اذا ما قلت أن
الفتى قد مرت به سنتان منذ أن بدأ حبه للفتاة ، وهو يحوم حول
الدار ، عليه يلمحها فى نافذة أو فى شرفة أو يجدها خارجة فيتبعها
من بعد كالكلب الأمين ، ثم يعود الى داره ، فيتهكم فى قراءة قصص
الغرام كمجدولين وأمثالها . ثم يأخذ فى كتابة رسائل الحب التى
يسكب فيها عصارة ذهنه وقلبه ، وهو حائر الفكر لا يستطيع أن يعرف
موقفه عند صاحبتة ، ولا يدري ان كانت تحبه أو لا تحبه .. لأن
أحوالها معه غير مفهومة ، وتصرفاتها معه متناقضة متباينة ، غمى
قلب حول .. تبتسم له مرة وتكفهر أحيانا .. وهو لا يستطيع أن
يسألها هل تحبه ، أو هل تفهم معنى الحب ، لأنه لا يدري كيف السبيل
اليها ، فلا يجد خيرا من الورق ملجأ ينفس عنه كربته .. ويقذف غيه
بما يجيش به فؤاده .

واليكم بعض ما كان يكتبه الفتى وهو فى غمرة حبه .. عفى
كلماته خير تصوير لنفسه :

« ليتنى أستطيع أن أنفذ الى رأسك أو الى قلبك .. ليتنى أستطيع
أن أبعد ظلمات الشك والحيرة التى تكتنفنى من كل جانب .. ليتنى

أعرف فقط أنك تحبيننى .. أنا لا أريد أكثر من ذلك .. أريد أن أشعر
بلذة اليقين والاستقرار .. أه لو أعرف أنك تحبيننى !!

ولكن هل تعرفين أنت ما هو الحب ؟ ! من يدري ربما كنت
لا تعرفينه .. وربما كنت تحبيننى دون أن تعرفى أن هذا هو الحب
.. دعنى أشرح لك الحب كما أحس به .. لا كما قرأته أو سمعت
عنه .. وسأشرحه لك فى أبسط الألفاظ وبأقصر الطرق .

معنى أنى أحبك .. هو أن رأسى ملئ بك .. حتى لكان ذلك
الشيء الكامن فيه ليس عقلا كبقية العقول .. بل هو عقل معزّج
بك .. لا يستطيع أن يفكر فى غيرك .. أما عينائى فكأنى بصورتك
قد التصقت بهما .. حتى بت لا أبصر الحياة الا من خلالك .. أما
القلب .. فأغلب الظن أنك قد امتزجت بالدماء التى تجرى فى أورده
وشرايينه .. فلو توقفت عن السريان فيه لكف عن نبضه وتعطل عن
حركته .

لا تقولى ان قولى مبالغه عشاق .. أو مجرد انشاء .. أو محاولة
فى الكتابة والأدب .. لأن ذلك القول هو حديثى الى نفسى ، وليس
أصدق من حديث النفس الى النفس .

انى لأبصرك فأتمنى الا يتحرك الوقت ، وأتمنى لو أصاب الحياة
جمود وركود ، حتى تظلى أمام عينى الى ما لا نهاية ، وقد يزداد
بى الطمع فى بعض الأحيان فأتمنى لو استطعت أن أحتوى يدك بين
يدى ، وأن أحس برأسك يستند الى صدرى ، ثم نغمض أعيننا عن
كل ما فى الحياة ، ونظل كذلك حتى ينتهى العمر ، أو حتى تحين
الساعة .

هذا بعض ما كان يكتبه الفتى ، مما لو جمع لكان مجلدات ضخمة
فى الهوى والهيام .

وأخيرا وبعد مضي عامين طويلين ، وبعد طول كتابة وصياغة ..
حدثت المعجزة التي كان يتلهف عليها الفتى وتم اللقاء ..
لقد عوض الله الظاهر ، وجزى صبره خيرا ، كل الخير ، ففى
ذات مساء رآها هى الحديقة . وكان المكان خاليا الا منه ومنها ،
وابتسمت له وأشارت اليه بالدخول ، فتسلل كما تسلل منذ عامين ،
لا يسرق اللورود هذه المرة ، وانما ليسرق الحب .
وغادرها بعد أن أفرغ كل ما فى قلبه .. وبعد أن سرق كل ما كان
يطمع فيه .. بل أكثر كثيرا .. لقد سرق منها اعترافا بحبه ..
وسرق قبلة من يدها .

ومر على الفتى يومان بعد ذلك .. شرد فيهما عن نفسه من فرط
تلك السعادة التي كان يحس بها حتى حدث اللقاء الثانى ..
والأخير !

الأخير لأن الفتى قد حطم فيه صنمه .. حطمه ويكى .. لا بدعم
عينيه .. بل بدماء قلبه ، وعصارة روحه النضرة اليانعة .
لقد لقيها .. فحطم لقاءها قلبه .. وندم على هذا اللقاء كما لم
يندم على شيء فى حياته .. وهو الذى كان لا يتمنى شيئا قدر لقاءها .
لقيها وهو يركب فى عربة صاحب له ثرى مدلل .. سأل أن يذهب
معه للقاء فتاتين تعود أن يقضى معهما ساعات ممتعة . وتمنع الفتى
فقد كان يحس أن لصاحبه حقا عليه . وأن فى ذهابه خيانة لعهدا ..
ولكن صاحبه أقنعه أن هذا مجرد عبث لا دخل له فى الحب أو الخيانة .
وسارت بهما العربة وهو شارذ الذهن ، موجس خيفة من أن تراه
فتاته فى موقفه الشائن ، حتى أحس بالعربة تقف ، وبالفتاتين
تصعدان .. فإذا احدهما .. هى صاحبه .. بدمها .. ولحمها !
وسارت العربة وجلست فتاته الى جواره .. ملاصقة له ، ومع
ذلك فقد كان يحس أن بينه وبينها ما بين الأرض والسماء .. أو ما

بين ابليس والرحمة ٠٠ أو كأنه يجلس الى ميت بينه وبينه ما بين
الآخرة والأولى ٠

ولم ينبس الفتى ببنت شفة ٠٠ فقد كان يحس بنفسه كأنه شبح
بين أطلال ٠٠ أو حطام بين أنقاض ٠٠ ولم تكد تقف في أول مرور
حتى فتح الباب ببطء وتسلسل من العربية واختفى بين السابلة ٠
وعاد الى داره ٠٠ وبذفسه ذلك الشعور المرير الذي نحس به
عندما نعود الى دورنا وقد واريينا التراب عزيزا لدينا ٠
كم كان جزعه شديدا ٠٠ ولوعته ممضة !

أه لو علم وقتذاك مدى حقارتهم وتفاهتهم ٠٠ وأه لو يعلم ان
هذا الجنس ليس أكثر من وسيلة للتسلية والترفيه !
أه لو علم هذا ٠٠ لوفر على نفسه الألم واللوعة ٠
ولكنه كان معذورا ٠٠ فقد كان الحب الأول . وكانت الصدمة
الأولى ٠

رجل طيب

لقد وجدت الرجل الطيب الكريم اليأس .. المنهار ،
الذى أنزلت به الصدمة الكبرى .. ولكنه كان فى حالة
لا تنبى عن طبيته ولا كرمه . لا . ولا كان هناك أثر
للصدمة التى أنزلتها به .

كانت تشعر بأنها تمر بتجربة عسيرة ، وأن المشاعر تصطوع فى
جوفها وتضطرب ، انها باتت أشبه بريشة فى مهب ريح هوجاء
عاصفة عاتية .

ترى كيف هبت عليها الرياح فزلزلت حياتها الهادئة وعصفت
بنفسها الراضية القانعة المستقرة ؟ بدأت الريح طيبة حنونا كالنسمة
الرفيعة الناعمة لا تنبى بخطر ولا تنذر بشر .. فأمنت لها وأطمأنت
إليها ، وتركت نفسها تستمتع بها فى دعة واستسلام ، حتى بدأت
الريح تشتد وتعصف وتجرفها فى سبيلها فإذا بها شاردة تائهة ضالة
هائمة .

كانت أول تجربة تمر بها ، تجربة شاقة مرهقة ،

وهى التى تعودت الهدوء والاستقرار منذ نعومة أظفارها ، ولم تكن تعرف عن الحياة الا أنها موكب يسير وصورة تتكرر ٢٠
انها تذكر حياتها مع أبويها عندما كانوا يقطنون فى دارهم بمصر الجديدة ، وعندما كانوا يتمتعون بحياة هادئة هائلة لا يشوب صغرها كدر ، وكان أفق حياتها لا يكاد يتعدى البيت والمدرسة ، ومن أن لآخر سهرة فى احدى دور السينما أو زيارة لأحد الأقارب أو الأصدقاء برفقة أبويها .

كانت سعيدة بغرفتها الصغيرة التى لا يشاركها فيها أحد ، وكانت دائمة الترتيب لدولابها الصغير الذى حوى بين جدرانها جميع ممتلكاتها من دمي قديمة وملابس وكتب ، سعيدة بكل شيء .
وكانت سعيدة بأبويها الرقيقين الطيبين الحنونين اللذين لا يرفضان لها طلبا ولا يخييان لها رجاء . سعيدة بالدار النظيفة الأنيقة والحديقة المورقة المزدهرة . سعيدة بمدرسها التى لا تكاد تبعد عن الدار أكثر من مسيرة بضعة دقائق . سعيدة برفيقاتها ومدرساتها فى المدرسة .

كانت بطبيعة خلقها ونشأتها هادئة الطبع شديدة القناعة ، فلم تحاول قط أن تتطلع الى أكثر مما وهب الله لها ، وأراحها هذا الهدوء وتلك القناعة وشغلتها توافه الحياة ومتعاتها البسيطة السهلة عن التطلع الى مطالب المشاعر المرفهة ورغبات النفس الحساسة .
علمتها أمها أن على المرأة الا تحب الا بعد أن تتزوج ، فكفت نفسها مؤونة التشوق والتشوف ، وكفت نفسها شر الرجات القلبية والزلازل العاطفية ، وباتت تنتظر فى هدوء وفى غير تعجل ولا قلق ، وتنعم بحياتها المدرسية والمنزلية حتى يحين اليوم الموعود ، ويتقدم اليها الزوج الذى يجب أن تحبه .

ولم يتأخر اليوم كثيرا ، ولم يطل بها الانتظار حتى تقدم الزوج .

انها تذكره جيدا ٠٠ فى يوم من أيام الخريف اللطيفة الجو ، ولم يكن قد مضى سوى بضعة أيام على بداية العام الدراسى ، وقد عادت من المدرسة وقذفت بحقيبتها على أحد المقاعد ثم استلقت بملابسها على الفراش فى تكاسل واسترخاء ، عندما أقبلت أمها تسنهبها وتسألها أن ترتدى ثيابها بسرعة استعدادا لاستقبال بعض الضيوف . وبدلت ملابسها وأخذت تعد حجرة الصالون لاستقبال الضيوف فوضعت الزهور فى الزهریات وأعدت المرطبات ، ولم تكد تنتهى من اعدادها حتى أقبل الزائرون وكانوا عائلة صديقة ، بصحبهم رجل غريب .

وكان الرجل الغريب هو طالب الزواج ، أو الزوج المنتظر .
 أجل ٠٠ لقد أدركت حقيقته بوحي احساسها !
 ان أمها لم تفصح عن شيء ولكن الحاحها فى أن تعتنى بهندامها وفى أن ترتدى حليها كان الحاحا يبعث على الشك .
 والرجل الغريب نفسه ، ونظراته المسترقة من أن لآخر جعلها تجزم فى نفسها أن فى الأمر شيئا .
 ومضت بضعة أيام ٠٠ ثم وضحت الحقيقة ، وسألتها أمها عن رأيها فيه ، لأنه قد تقدم لخطبتها .
 وعرضت أمامها مؤهلاته ، فكانت جمة .
 كان مدرسا فى الجامعة يحمل شهادة الدكتوراة ، وكان شابا لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ذو مستقبل باهر ، كريم المنبت ، طيب العائلة ، له من الأملاك - غير مرتبه - ما يجعله فى بسطة من العيش .
 وهكذا لم تكن به أية علة ولا هنة من حيث الموضوع بل كان يعتبر زوجا نموذجيا .

أما من حيث الشكل ، فقد كان عاديا .
 لم يكن قبيحا ولا مشوها ، ولم تكن العين تستطيع ان تلمح به

شيئا مميزا ، جميلا كان أم قبيحا ، بل كان ممثلا للمشكل العادى الذى
يمكن ان تبصره فى آلاف الموظفين والمدرسين والكتبة والتجار ،
والمصريين عامة !

كان أميل الى القصر والامتلاء ، ولكنه لم يكن قصرا معيبا ولا
امتلاء مشوها ، وكان يَضَع على عينيه منظارا ، ولم يكن هذا بالشئ
الغريب ، فثلاثة أرباع من فى مثل سنه ومركزه يضعون على أعينهم
منظارا .

كان الرجل مقبولا شكلا وموضوعا .

ولم يكن هناك مبرر لأن تقول - حتى فيما بينها وبين نفسها - لا .

حقيقة انه لم يكن هناك أية صلة ولا شبه بينه وبين ذلك المخلوق
الكائن فى أفق أحلامها . ذلك المخلوق الذى تجسده لها قصص الهوى
وأحلام الدجى .

وحقيقة أنه لم يكن جميلاً ، فارغ الطول ، ممشوق القوام كابطل
الشاشة البيضاء .

ولكنها لم تكن من الغباء بحيث تتصور أن هذا الشئ كائن فى
الحقائق ، وأن عليها أن تنتظر حتى يقبل ذلك المخلوق من أفق
الأحلام !

كانت قناعتها ، وهذوء طبعها ، وحسن تربيتها ، تجعلها تؤمن
بالواقع ، وتدرك بسهولة أن هذا الرجل المتقدم اليها يمكن أن يكون
زوجا صالحا محترما ، وانها يجب أن تقبله حامدة قريرة ، وأن تشكر
الله على نعمائه وقضله .

وقالت نعم . . لأنها لم تستطع أن تقول : لا ، فما كانت تجد لها
مبررا ، وما كانت من الجنون بحيث تقول انها كانت تفضل أن يكون
أطول قامة ، وأوسم وجها ، وأرشق قدرا .

وخيرا فعلت ٠٠ فلقد اثبتت لها الايام التى مرت بعد ذلك أن القدر قد اكرمها ، وانها لم تخطيء قط بقبول الرجل زوجا .

كان رجلا رقيقا مهذبا ، رضى الخلق ، هادئ الطبع ، ولم يكن هذا الخلق الرضى بالشيء المفتعل المتصنع الذى يتكلفه الرجال فى ايام الخطبة ، والذى سرعان ما يتبدد عندما يصبحون أزواجا ، فينقلب هدوءهم غضبا ، ورفقتهم فظاظة ولينهم غلظة .

وبدا حياتهما الزوجية ، وانتقلت الى بيتها بالدقى مكرمة معززة ، واقبل عليها زوجها اقبال محب عطوف ، واحاطها بغنايته المفرطة ٠٠ مدركا انها شيء ثمين يستحق الرعاية والعناية .

ولقد كانت كذلك فعلا ، اذ هيأت له زوجة مثالية ٠٠ ولم يكن جمالها وثقافتها ليمنعاهما من أن تكون سيدة بيت ومن أن تقوم بالطهى والنظافة وأن ترعى شئون زوجها تماما كما كانت تفعل أمها ببيتها وبأبيها .

وهكذا سارت بها الحياة الهوينى ، جاعلة من كليهما ٠٠ هى وزوجها ٠٠ نموذجا لزوجين سعيدين راضيين قانعين .

حتى بدأت الريح تهب .

وكان مصدرها ذلك النادى الرياضى الذى اشتركا فيه .

كانا سعيدين بالاشتراك به فى أول الامر ، فقد كان خير مكان يمكن أن يقضيا فيه وقتهم برفقة ثلة من زملائه وزوجاتهم .

ولم يكن النادى يبعد عن البيت كثيرا ، وكانت حديقته المتسعة المترامية الأطراف وشرفته المشمسة تعوضهما خيرا عن شقتهم البحرية التى لا تدخلها الشمس .

ولقد بدأ ذهابهما الى النادى فى أول اشتراكهما معا ، فقد كان يصطحبها برفقته بعد الظهر فتجلس هى للتسلى بالحديث مع بعض الصديقات أو بعمل التريكو أن لم تلق احداهن ، ويأخذ هو فى لعب

التنس ، وبعد الانتهاء من اللعب يجلسان معا لتناول الشاي وقضاء السهرة في السمر مع الأصدقاء أو يذهبان الى إحدى دور السينما .
هكذا كان برنامجهما اليومي . حتى انشأ لنفسه مكتبا للعمل الحر ، فشغل وقته معظم أيام الأسبوع بعد الظهر .

وكان يكره أن يتركها وحيدة طول اليوم ، فوجد أن خير طريقة لتسليتها هي اصطحابها الى النادي وتركها فيه حتى يعود اليها بعد الانتهاء من العمل .

وبدأت أيام الشقاء الأولى تمر دافئة ممتعة ، وبدأت هي معرفتها به .

كان زميلا لزوجها ، سبق أن جلس في شلتها بضع مرات من قبل ، ولكن معرفتها به كانت معرفة سطحية غير وثيقة .

ولقيها وحدها في أول يوم فحياها في أدب وأستاذتها في الجلوس فاذنت له . ثم سألها لم لا تتسلى بلعب التنس ، فأنباته أنها لم تلعبه من قبل . فقال لها انها يجب أن تحاول لعبه وعرض عليها أن يقوم بتدريبتها .

وكانت تعلم أنه أحد أبطال التنس المعروفين . ولكنها اعتذرت فقد خشيت أن يضايق هذا زوجها .

وعندما عاد زوجها عند انتهائه من العمل . جلس الثلاثة يتناولون الشاي . وقال صاحبنا مازحا :

— يا محمود بك . لقد عرضت على ليلي هامم أن أعلمها التنس مجانا . فرفضت .

وأجاب محمود بك :

— انها مخلوقة مكسالة . من الذي يرفض أن يعلمه على عزت بطل التنس ؟ لا . لا . يجب أن تتعلمي يا ليلي بدل الجلوس هكذا

تشتغلين بالتريكو كالعجائز ٠٠ انى أريدك أن تكونى شريكة لى عندما
تبدأ المباريات الزوجية ٠

وفى اليوم التالى بدأت التدريب ٠

وبدأت تستمتع بالريح الطيبة الحنون تهب كالانفاس الناعمة
الرفيعة ٠٠ لا تنبئ بخطر ولا تنذر بشر ٠

كانت تستمتع باللعب وبالصحية ، وبالشمس الدافئة ، وباليوم
الجميل ، ولم تحاول أن تمنع نفسها من الاستمتاع ٠٠ فما كانت تدرك
أن وراء الريح الهادئة زوبعة عاصفة عاتية ، وأن وراء الاستمتاع
اندفاعا واقتلاعا ٠

ان شر ما فى هذه التجارب أنها تبدأ هادئة رقيقة ، وانها تتسلل
إلى النفس تسلل النوم الى الجفون ، لذيدة ممتعة ، غلاية مسيطرة
٠٠ لا يملك لها الانسان دفعا ، ولا لسلطانها ردا ٠

كانت تستمتع باللعب وبالصحية ، سليمة النية ، طيبة القصد ،
ولم يخطر ببالها أنها كانت تندفع الى مغامرة ، وتساق الى شر تجربة
يمكن أن تساق اليها امرأة متزوجة ٠

ولقد قلت انها متينة الخلق ، حسنة التربية ، شديدة القناعة ،
وانها ٠٠ وانها ٠٠ من كل محمود الصفات التى يمكن أن تخطر
على بال ٠

ولكن هل تستطيع كل هذه الصفات الطيبة أن تصمد أمام التجربة
إذا ما استطار شرها ، واستشرى خطرهما ، واستفحل داؤها ؟
لا تقولوا ٠٠ نعم ٠

لا تكونوا حقى ٠٠ فتلقوا القول على عواهنه ٠

متزوجة أو غير متزوجة ، طيبة أم فاسدة ، سعيدة فى بيتها أم
غير سعيدة ، ان هذه التجارب اذا ما وقعت اودت بالطيب والخبيث

والشقى والسعيد ، وجرفت فى طريقها كل شىء ، غير عابئة بتقاليد
أو أصول أو أوضاع .

ان التجربة تبدأ سهلة هينة لا تنبئ بشر حتى يحاول الانسان
تجنب شرها ، ولا تنذر بخطر حتى يحاول أن ينجو من خطرهما ، فاذا
ماحل الشر ووقع الخطر . جرف امامه كل مقاومة وسحق كل
محاولة للنجاة .

لقد اتمعتها اللعبة والصعبة ، لعبة التنس ، وصحبة المدرب ،
وزاد الاستمتاع حتى خرجت المسألة عن مجرد الاستمتاع ، واصبح
الأمر شيئاً حيويًا ضرورياً ، وانقلبت لعبة التنس الى اللعبة الشائكة
الهوجاء المسماة بالحب ، ولم يعد المدرب شريك اللعبة فحسب ، بل
شريك الروح وأنس الحياة .

وبدأت تحس بقسوة التجربة وبخطورة الأمر وحيويته . وبأن
الريح الهادئة قد اشتدت وباتت رياحا هوجا لا تبقى ولا تذر !

وبدأ النضال الخفى بين الضمير والرغبة . بين القلب والعقل
. وزاد النضال قسوة وعنفا طبيعتها الرزينة وعقلها الهادئ
المقزن . فقد كان يمكن للتجربة أن تمر بسهولة لو أنها جبلت على
غير ذلك الخلق الطيب والتربية القويمة . ولو أنها كانت مستهترة
مخادعة نزقة طائشة .

وحاولت المقاومة فى الظاهر وفى الباطن ، اما محاولات الظاهر
فلم تجد نفعا . فقد حاولت سدئ أن تقلع عن الذهاب الى النادي ،
وحاولت التعلل أمام زوجها بشتى الأعذار ولكنه كان يصر على أن
تذهب .

اما محاولات الباطن . فقد ذهبت كلها ادراج الرياح .
كان القلب جامعا بعد أن طال به السكون والركود ، وكان

عسيرا عليه أن يرى صنو النفس الذى طالت وقفته فى أفق الأحلام
 فيعرض عنه وقد أقبل عليه وأضحى حقيقة واقعة .

أجل . . لقد كانت الكارثة فى أن فتى الأحلام قد أقبل متأخرا بعد
 أن ارتبطت بسوام وشدت إلى غيره .

وأخيرا صممت على أن تضع حدا لذلك النضال ، وأن تتخذ
 اجراء حاسما .

انها تحترم زوجها وتجله ، وترى بنفسها أن تلوث عرضه وهى
 تكره الخيانة والخديعة ، ولذلك فيجب أن تختار بين أحدهما . . اما
 مالك الجسد ، واما مالك القلب . اما الزوج ، واما الحبيب .

وغادرت الدار ذات صباح بعد أن أنبات زوجها أنها ستقضى اليوم
 بطوله عند أمها لأن بها وعكة . . وذهبت الى صاحبها لتنبئه علام
 استقرارها وأيهما ستختار ، هو أو زوجها .

والتقت به فى داره حيث كان ينتظرها فى لفحة . . فأنباته أنها
 قد اختارته هو ، وأنها ستنبئ زوجها بصراحة بجلية الأمر وتساله
 الطلاق . . وغادرته عائدة الى دارها . . وطال بها الانتظار دون أن
 يعود زوجها ، فدفعها القلق الى الذهاب الى مكتبه ، وكانت تعلم اية
 صدمة قاسية توشك أن توقعها به ، ولكنها كانت تعلم أن عملها هذا
 خير بكثير من الخديعة والخيانة .

ووصلت الى المكتب ودقت الجرس ، وبعد لحظة كان زوجها يقف
 أمامها فى دهش وذهول .

كانت أول مرة تزوره فى مكتبه ، وخشى أن يكون قد أصاب أمها
 مكروه . فسألها منزعا :

— أصاب والدتك شيء ؟

— لا .

— إذن ما بالك مضطربة هكذا ؟

- - أريد أن أفضى إليك بشيء .
- - الآن !
- - أجل الآن .
- - ألا يمكن تأجيله حتى نعود إلى البيت ؟
- - من الأفضل أن ننهي الآن .
- - أهو من الأهمية بمكان ؟
- - نعم .
- وقادما إلى حجرة المكتب وأغلق الباب وما زالت علائم الدهشة مرتسبة على وجهه ، ولم تكذ تستقر على مقعدها حتى صاح متسائلا:
• - حدثيني عما بك .
- وبصوت خافت حدثته ، عما جاءت لأجله . . . وألقت إليه بخبيبة
• نفسها .
- وجلس ينصت إليها في ذهول ، وقد اتكأ على المكتب مطرقا برأسه
لغى يأس شديد .
- وأخيرا كفت عن الكلام وساد الحجرة صمت عميق .
- وبعد ، رمة قال بصوت خافت متهدج :
• - أنت مجنونة . . طائشة .
- - لست مجنونة ولا طائشة ، ولكنى لا أريد أن أخونك أو أخدعك
لأنى أجلك واحترمك .
- - ألا تمنحين نفسك فرصة للتفكير ؟
- - لقد فكرت كثيرا . . أنى لم أفعل ما يجعلنى أخجل حتى الآن .
- - ولا أريد أن أفعله أبدا .
- وهز الرجل رأسه ببطء ، وقال وهو يحاول التمالك والتماييك :
• - لك ما تشائين .
- ونهضت من مقعدها وغادرت الحجرة .

وفى الطريق بدأ الضمير يثقل ضرباته ، وبدأت تحس ثقل الصدمة
التي أنزلتها بالرجل الذى بذل كل ما يملك لاسعادها ٠٠ والذى وهبها
البيت الهادىء والحياة المستقرة ٠

وتصورت حاله الذى تركته عليها وانهيائه ويأسه ، فازداد بها
الندم ، وتمنت لو تستطيع أن تخفف بعض عبئه ، وأحست بأنها كان
يجب عليها أن تضحي من أجله ، وأن تقاوم رغباتها ونزعاتها ٠

وبلا وعى ولا ارادة وجدت نفسها تعود القهقري ٠٠ لتسال زوجها
المغفرة وترجوه العفو ، وتنبئه انها قد صممت على أن تقهر قلبها
وتطلب منه أن يساعدها على الخلاص من حبها ٠

وكانت واثقة أنه سيقدر وسيغفر ٠٠ فهو طيب كريم ٠

ومرة ثانية وقفت بباب المكتب ، ووجدت أنها لم تغلقه وراءها
جديدا فقد انفتح امام دفععتها ٠٠ ودخلت المكتب ولم تكد تخطو بضع
خطوات حتى وقفت مشدومة ذاهلة ٠

لقد وجدت الرجل الطيب الكريم ٠٠ اليائس النهار ٠٠ الذى
انزلت به الصدمة الكبرى ٠

ولكنه كان فى حالة لا تنبىء عن طبيئته ولا كرمه ٠٠ ولا كان
يائسا ولا منهارا ٠

لا ٠٠ ولا كان هناك أى اثر للصدمة التي أنزلتها به ٠

كل ما وجدته قد زاد عليه هو امرأة بين أحضانه ٠

حقا ٠٠ انها كانت مجنونة ٠

لقد أدلت اليه باعترافها أول مرة والمرأة مختبئة فى احدى
الحجرات ٠ لقد كان مكتبه مأوى لرفيقته ٠

لعنة الله عليها ٠

كان خيرا لها ان تفعل كما يفعل ٠٠ فلا تفضح نفسها ٠٠ بل
تبدو أمامه كما يبدو أمامها طيبا كريما ٠

رجل آثم

الحمد لله على أنه لا يعرف أوصاف الآثم الأول ..
لقد كان لا بد من نهايه .. والا .. من يدري فقد تنبئه
عجوز النحس بها وتكون الطامة الكبرى .

بدأ القطار سيره ، وأخذت ألوح لبضعة الأصدقاء الذين حضروا
لتوديعي حتى اختفوا عن ناظري وسط الزحام . وغادرت النافذة
عائدا الى مقعدي .

وكان أول ما فعلت هو أن ألقيت نظرة عجلي على رفاقي في
السفر . وبؤت من النظرة بخيبة رجاء . فما رأيت بين الوجوه
المرافقة التي ساكره على صحبتها ثمانى ساعات متوالية وجها يغرى
بالنظر ، ويزيل وحشة السفر ، ويقصر طول الرحلة . ومع ذلك فلم
أشعر بكثير أسف ، أولا لأنى قد تعودت على هذه الخيبة فى كل
سفر . وثانيا لأن الديوان لم يكن مزجما بل كل من به لا يزدون
على أربعة : أنا وثلاثة آخرون .. وهكذا اطمانت الى سفرة مريحة
أستطيع خلالها أن أمد ساقى على المقعد المواجه وأن أستغرق فى نوم
عميق .

وبدأت أتصفح الجرائد والمجلات التى وضعتها بجوارى حتى
أجسست بالخمول يدب فى جسدى فألقيتها جانبا ثم أسندت رأسى
فى تكاسل الى الوراء وأغمضت عيني فى شبه اغفائة .

وأخذت أنصت لطرقات القطار المنتظمة التى يحدثها فى أثناء
سيره . وشررد بى الذهن فى توافه الحياة ، فاستعرضت ما فعلت فى
يومى وما سافعله فى الغد ، ثم اختلطت الأفكار فى رأسى حتى
انعدمت قدرتى على التفكير ورحت فى سبات عميق .

لم تكن الساعة تزيد على الثامنة . فالقطار قد بدأ تحركه فى
السابعة والنصف . ولا أظن تشاغلى بالنظر الى رفاقى فى الديوان
أو انهماكى فى قراءة الصحيفة ، قد استغرق أكثر من نصف ساعة ،
ومع ذلك فقد هاجمنى النعاس سريعا من فرط ما أجهدت جسدى خلال
اليوم . ولأنى لم أجد حولى ما يستحق البقطة .

وإذا نام المرء واستيقظ فجأة فإنه لا يكاد يشعر أنه قد نام ولا
يستطيع أن يقدر طول الوقت الذى استغرقه فى النوم بل يخيل اليه
أنه لم ينام . وهكذا أحسست عند ما استيقظت فجأة على صوت طلق
نابى يدوى فى أذنى . وهببت من مقعدى فزعا مرتاعا لأجد الرجل
الجالس بجوارى يفحص مسدسا فى يده ثم يضعه فى جيبه باطمئنان
وارتياح . وأجد أحد الرجلين الجالسين فى مواجهتى مستغرقا فى
سباته ، أما الرجل الآخر فلم يكن بأقل منى دهشة . إذ رأيته يحملق
فى الرجل صاحب المسدس ، وقد بدت عليه سيماء من أوقف فجأة
فزعا مرتاعا .

ونظرت الى الساعة فاذا بها الحادية عشرة . . وأدركت ببساطة
أنى قد قضيت فى سباتى ما لا يقل عن ثلاث ساعات وكان القطار

ممعنا فى سيره دون أن يبدو من النافذة أى اثر لأضواء أو علامات مميزة تدل على المكان الذى نمر به ، بل بدا لى كأن القطار يطوى كداسا من الظلمات .

وخيم على ثلاثتنا صمت لم يكن يشويه سوى طرقات عجلات القطار المتتالية المنتظمة كأنها دقائق الساعة . . . وكان صمتنا مشويا بقلق وتساؤل وتوتر فى الأعصاب . وأخذت أقلب البصر بين الركاب فرأيت الرجل الجالس قبالتى يعود الى تراجيخه ويمدد ساقيه ويلقى براسه الى الوراء ثم يغمض عينيه دون أن ينبس ببنت شفة وكأنما الأمر لا يعنيه فى شئ أو كأنه مفروض على ركاب القطار أن يتسلوا بإطلاق النار من مسدساتهم .

ولم أستطع أنا بالطبع أن أفعل كما فعل الآخرون ، فاتمطى فى مقعدى بهدوء وأعود الى سباتى .

من يدرينى أن صاحب المسدس ليس مجنوناً ؟ وأن الطلقة الآتية ستستقر فى جوفى بدلا من أن تنطلق طائشة من النافذة ؟
 . . . لا . . . يجب أن أكون حريصا وألا أترك الرجل يعبث بمسدسه ، أو على الأقل أطمئن نفسى بالاستفسار عن سر هذه الطلقة التى أطلقها .

وكانما أحس الرجل بقلقى وبأن عيني تحمقان فيه وتطلبان منه تفسيراً . فقد التفت الى وهز راسه مشيراً بالتحية ثم قال وهو يضع يده على جيبه :

— مسدس جيد .

ولم أعرف كيف أجيبه : فأنا لم أفحص المسدس حتى أعرف اذا كان جيدا أم لا . ولا أعرف كيف ينوى استعماله . ولا اذا كان من صالحى أن يكون جيدا أم غير جيد . ولكنى تجنبنا لكل ما يثير الرجل لم أستطع الا أن أوافقه بهزة من راسى وأنا أقول :

— يبدو كذلك •

— لقد اشتريته منذ مدة قصيرة لغرض خاص • انى لم أمسك
فى خياتى مسدسا قبل الآن ، ولا كنت اعرف كيفية استعماله ، بل
كنت أخشى الاقتراب منه • ولكن الظروف أجبرتنى على ابتياعه حتى
أنهى به مهمتى •

— تنهى به مهمتك ؟

— سأقتلها به • لا أظن المهمة ستكون شاقة •• حقيقة انى لا أجيد
النشآن ، ولكن المسألة لن تحتاج الى ذلك • فلن أحاول اصابة الهدف
من بعد • لن يكون بيننا أكثر مما بينى وبينك • هكذا •

ورأيت الرجل يخرج مسدسه من جيبه ثم يضع فوهته بمنتهى
البساطة ملاصقة لمعدتى •• ويواصل حديثه :

— أجل •• لن تكون المسافة بيننا أبعد من هذا • هل تظننى
أخطىء ؟

وأحسست برجفة وأنا أبصر فوهة المسدس تلامس جسدى ،
وخشيت ان أتيت بحركة بها شئ من العنف ، أو صحت بالرجل ناهرا
اياها ، أن تخرج الطلقة من المسدس وأردى صريعا •• ففضلت أن
أخذ الرجل بالليلين وقلت له مؤكدا :

— لا •• لا •• انك لن تخطئه أبدا • فقط أرجوك أن تبعد فوهة
المسدس عن معدتى لأنها تسبب لى مفسا •

وصاح الرجل مقهقها :

— لا تخف • ان سقاطة الأمان فى موضعها • أنظر • مهما ضغطت
على الزناد فلن ينطلق •

وضغط الرجل على الزناد وهو ما زال مصوبا الفوهة الى معدتى،
ولم تكن هناك فائدة من الصياح أو الهرّب ، وكل ما كنت أستطيع

فعله هو الاستسلام • ان الرجل لا شك مجنون وان تجدى معه سوى السياسة •

وحمدت الله ان جعل الزناد لا ينطلق فعلا • • وحمدته كذلك ان جعل الرجل يعيد مسدسه اخيرا الى جيبه •
وتنفست الصعداء ، وقلت للرجل :

— امصم أنت على قتلها ؟

— أجل • كما قتل ابنتى •

— قتل ابنتك أنت ؟

— أجل ابنتى انا • لقد تأمرا على قتلها ، وراحت المسكينة ضحية نذالتهما وجبنهما •

وبدت على وجه الرجل علامات الحقد والغضب • • ورايت مقلتيه تغرورقان بالدموع ، وبدا لى كأنما هو جاد فيما يقول •

وسواء كان جادا أم لم يكن ، فما كنت أملك الا موافقته فمددت يدى وأخذت أريت على كتفه وقلت له فى عطف ظاهر :

— هدىء نفسك وحاول أن تنام واسترح قليلا •

— انا ما ! لقد مضى على عشرة أيام وأنا لا أعرف طعم النوم • •

منذ أن واريثها الثرى لم يغمض لى جفن ولم يهدأ لى بال •

— ولكن أوأثق أنت من أنهما قد قتلاها • • ؟

— اتظننى كنت أصر على قتلها اذا لم أكن واثقا ؟

— ولكن اذا كان الأمر كذلك فلم لا تبلغ أمرهما للقضاء وتتركه يقتص لك دون أن تعرض نفسك لعقوبة القتل ؟

— القضاء ؟ لا • • لا • • أنا لست أبله • ان ابلاغ القضاء لن

يعنى سوى الفضيحة لى ولها • اما هما فلن يستطيع القضاء ان يثبت

عليهما شيئا ، وان أثبت فلن يكون لجريمتها عقاب •

— اذا ثبت أنهما قتلاها فلن يكون لجريمتها عقاب ! ؟

– أجل .. أمام القانون • لا عقاب لهما •

– لست أفهمك جيدا •

– لكى تفهمنى جيدا يجب أن تفهم الحادثة جيدا •

كنت ذات يوم أجلس فى دارى • وأنا أقطن فيها مع ابنتى وخادم
عجوز تدعى أم أحمد • قرعى أمورنا منذ أن توفيت زوجتى ، وكنت
أعلم أن ابنتى خرجت مع الخادمة منذ الصباح لقضاء بعض
الحاجات ، وكنت أتوقع أن تعود الى الدار قبيل الغداء ، ولكن موعد
الغداء حل دون أن تعود • وزاد بى القلق عندما انقضى اليوم وهى
ما زالت غائبة • حتى دقت الساعة السادسة فاذا بى أسمع وقع
أقدام أم أحمد وحدها وهى تصعد الدرج بطيئة متثاقلة ، وأقبلت
عليها أسالها فى لهفة عن ابنتى فرايت وجهها شاحبا وعينيها
محمرتين وأنبأتنى فى صوت متهدج أنها قد أتت لأخذى اليها ..

وكانت المرأة فى حالة اعياء شديد ، ولم أستطع أن أستفسر منها
عن حقيقة ما حدث ، ولكنى توقعت أن يكون قد حدث لابنتى حادث
تصادم وانهم حملوها الى أحد المستشفيات •

وانطلقت مع المرأة فى إحدى عربات الأجرة وسألتها عن اسم
المستشفى الذى وضعوها فيه ، فأنبأتنى أنها ستقودنى الى هناك •
وهكذا أخذت المرأة تقود السائق وتعرض به يمنة ويسرة حتى
وجدت نفسى فى شارع محمد على قرب القلعة • ثم عرجت بنا العربة
فى أحد المنعطفات وظلت تتجول بين الأزقة والحارات وأنا حائر
دهش ، حتى وقفت بنا أمام بيت حقير تفوح منه رائحة العفونة
وتتراكم على بابه أكوام القمامات • وقالت المرأة :
– انها هنا • تعال •

ولم أملك الا الانصياع ••• فدخلت اتعثر وراءها ، أخوض وسط
القمامات ، وأتخبط فى الدرج الحجرى المتآكل •

ودفعت المرأة باباً خشبياً ودلفنا الى صالة رطبة معتمة لا يبدو فيها اثر لأثاث ٠٠ ثم عبرناها الى حجرة فى-الناحية المقابلة للمسلم ٠٠ وهناك أبصرت ما صرعنى وسلبنى رشدى وأفقدنى صوابى ٠ وجدت ابنتى مسجاة على فراش قذر وقد أغمضت عيناها وشحب وجهها ويجوارها كومة من الملاءات مفرقة بالدماء والفراش نفسه قد تناثرت فيه بقع الدم الأحمر ٠ كل شيء فى الحجرة كان ملوثاً بالدماء ٠ وأحسست كأنى أوشكل أن أهوى الى الأرض ٠٠ وصرخت كالجنون :

— ما هذا ؟ وما الذى أتى بها الى هنا ؟

وانبرت لى عجوز شمطاء من اقصى الحجرة تسعى كالحية الرقطاء وأنبأتنى أنها هى التى أتت بقدميها ٠٠ وأنها هى التى سألتها الاجهاض ٠٠ وأنها غير مسئولة عن شيء ٠٠ فهذا قضاء الله ٠ ولا راد لقضائه ٠

اجهاض ؟ كيف ؟!

ونظرت الى أم احمد متسائلاً وأنا أكاد أجن ٠٠ فهمست المرأة فى صوت خافت :

— لا داعى لكل هذا الآن ٠ ليس هذا وقته ٠ الأفضل أن نحملها الى البيت ٠٠ رينا أمر بالستر ٠

ولم يكن أمامى سوى الرضوخ ، فلا أقل من الستر على البنية العزيزة ! ٠

ولففتها فى ملءة نظيفة وحملناها الى التاكسى وأوصلناها الى البيت ٠

وفى البيت قاضت روحها ٠

وهكذا تمت الوفاة بلا قضيحة وأنعم الله علينا بالستر في اللحظة الأخيرة .

ووارينا الجثة التراب .. وتلقيت التعزيات وأنا بادئ الهدوء ،
ظاهر الصبر . ثم عدت أخيرا الى البيت وقلبي يغلى بالثورة
ويصطخب بالحقد .

كيف حدث ما حدث ؟ من المسئول ؟

وأمسكت بأم أحمد أستجوبها وأضيق عليها الخناق . حتى بدأت
تفنى الى الحقيقة .. وأنبأتني أنها لاحظت علامات إلهم والقلق
بادية على الفتاة ، وأنها أقبلت عليها ذات يوم فأنبأتها أنها تشعر
بغثيان وميل الى القيء ، وفزعته المرأة . فقد أدركت أن ما بالفتاة
علامات حمل ، وكانت تحبها كابنتها . فحاولت أن تستدرجها لتعلم
منها الحقيقة الواقعة . ولكن الفتاة رفضت وقالت أن أمرها
لو افترض فستلجأ الى الانتحار .

ولم يكن هناك بد من انزال الحمل ، وأخذت المرأة والفتاة يتدبران
الأمر معا فأنبأتها الفتاة أنها تعرف طبيب ولادة كان دائما يحاول
مغازلتها وهي تمنع في صده ، وهي لا تشك في أنها لو ذهبت اليه
فسينقذها مما بها ويتستر عليها .

وفعلا ذهبت الفتاة والمرأة الى الطبيب في بيته مبالغة في التستر .
والتقت الفتاة بالطبيب ، فادهشه أن تحضر اليه في داره وهي التي
طالما أعرضت عنه وصدته .

وكان من العسير عليها ، وهي المتكبرة المعترزة بنفسها ، أن
تعترف بزلتها لهذا الذي طالما احتقرته وترفعت عنه ، وأن تسأله
المعونة والانقاذ .

وجلس في كبرياء وأنفة تنبئه أنها تحس بغثيان وميل الى القيء ،
ودهش الرجل من قولها واستطاع بنظرة فاحصة أن يفهم قيم مجيئها

له وأن يدرك مدى حاجتها اليه .. فصمم على اذلالها وعزم على أن يأخذ الثمن :

وبمنتهى البرود قال لها :

— هذه أعراض حمل ؟

• أجل .

— إذن فأنت حامل ؟

• أجل .

وكننت تصديننى وتدعين الشرف والكبرياء والعفة !

— وما زلت ، بالنسبة لك .

— إذن لم آتيت الى ؟

— لتجزى لى العملية .

— عملية الاجهاض ؟

• أجل .

— ولكنها عملية يحرمها القانون • اتعرفين ؟

— لا داعى لهذا اللف والدوران • أتريد أن تجزيها أم لا ؟

— تماما كالشحاذا الذى يقول « حسنة وأنا سيدك » .. انى على

استعداد لأن أهيك حسنة على أن أكون أنا سيدك وعلى أن أرغم أنفك

الاشم .

— سادفع لك ثمن العملية .

— أريد الثمن الذى أحمده أنا .

— ماذا تعنى ؟

— لا أظنك تبخلين على متقذك من مصابك بما منحتيه للذى وهبك

المصاب • أم ترائى طلبت شيئا كثيرا ! ان الجزء من جنس العمل ،

ولا أظننا سنحتاج الى اجراء عملية أخرى .

وكان هذا منتهى الاذلال • ولم تستطع الفتاة أن تحتمل اقوال

النذل ، فرفعت كفها وهوت عليه بصفعة شديدة ثم غادرت الدار .
ولم يكن هناك وسيلة بعد هذا سوى الالتجاء الى القابلة التي
تعرفها أم أحمد ، وهناك كانت الخاتمة .
وصمت الرجل برهة ، ثم عاد يتحسس المسدس فى جيبه وأردف
قائلا :

– ولقد صممت على أن انتقم ولا أستريح حتى أقتلها : الأثم
الأول والأثم الثانى .

أما الأول فانى لم أعرف عنه شيئا بعد ، ولكن أغلب الظن أن
المرأة العجوز تعرفه ولكنها تصر على أنكارها معرفته ، وانى أعتقد
أننى ببعض الضغط أستطيع أن أعرفه منها .
– والثانى ؟

– الطبيب النذل المجرم . الذى لولاه لما ذهبت الى القابلة ولما
سفك دمها فى الأزقة الممتنة العفنة . . ؟
– هل عرفته . . ؟

– أجل . لقد وصفته لى العجوز جيدا حتى انطبعت صورته فى
ذهنى ، وحتى بت أستطيع تمييزه بين آلاف الوجوه . سألتقى به
عاجلا أو أجلا . وسأضع فوهة المسدس على جسده . هكذا . ثم
أطلق . لا تخش شيئا لقد قلت لك ان سقاطة الأمان فى محلها .
وعاد الرجل يضع فوهة المسدس على معدتى . ورغم أنه أخبرنى
ان سقاطة الأمان فى محلها فلم أستطع أن أمنع رجفة سرت فى
جسدى .

لقد باتت حياتى معلقة بسقاطة الأمان .
ان الرجل مجنون ما فى ذلك شك . وأغلب الظن أن قصته كلها
من بنات الأوهام .
واستطرد الرجل قائلا :

— انى أعرف أوصافه جيدا • انه متوسط القامة •
 ورأيت نفسى دون أن أدري أحقق فى المرأة المواجهة •• خشية
 أن تنطبق أوصاف الرجل على فتكون الكارثة •
 وعاد الرجل يتم أوصافه قائلا :
 — متوسط القامة •• أحمر الشعر • بوجه كثير من النمش ،
 ويصدغه الأيمن أثر جرح طويل •
 وحمدت الله انى لم أجد بشعرى حمرة ولا بوجهى نمشا ولا
 بصدغى أثر جرح • ولكنى لدهشتى الشديدة وجدت الوجه الموصوف
 لا يبعد كثيرا عن وجهى الذى أبصره فى المرأة •
 أجل • لقد كان هو نفسه أحد الرجلين الجالسين فى مواجهتنا •
 ورأيت جفنيه يرتجفان • ولم أشك فى أنه كان يسمع كل ما دار بيننا
 من حديث • وفتح عينيه فالتقتا بعينى الرجل صاحب المسدس وران
 الصمت لبضع لحظات • وتوقعت أن ينطلق المسدس • وأخذت أنتظر
 الدوى • ولكن حدث فى لمح البصر ، وقبل أن ينطلق المسدس أن
 أبصرت الرجل ذو الشعر الأحمر ينهض بسرعة ثم يقفز من نافذة
 القطار وتطويه الظلمات المدهمة •
 ورأيت صاحب المسدس ينظر الى النافذة ثم يتنفس الصعداء
 ويقول :
 — هذا واحد • الحمد لله • لقد وفر على مشقة اطلاق الرصاص •
 لا بد أن عظامه الآن تتهشم وتتفتت ••
 ولأول مرة أبصر الرجل الرابع الذى كان يجلس فى مواجهتى
 يفتح عينيه ويقول بهدوء وسخرية :
 — تتهشم وتتفتت أيها الأحمق ! ان القطار يسير ببطء • انه
 لا شك يقف الآن سليما معافى • اقفز وراءه وأردة قتيلًا • لا تدع
 فرصة العمر تغفل منك •

وفى ثانية أجرى أبصرت صاحب المسدس يقفز الى النافذة ثم
يقذف منها نفسه صائحا :

— أجل • أجل • معك حق •• لا بد أن أجهز عليه •
وران الصمت ثانية ، ثم سمعت الرجل الباقي يتنفس الصعداء
ويقول :

— الحمد لله على أنه لا يعرف أوصاف الآثم الأول • لقد كان لا بد
من ذهابه ، والا • من يدري فقد تنبئه عجوز النحس بها •• وتكون
الطامة الكبرى •• الحمد لله •

ثم اغمض عينيهِ وعاود سياطه العميق •
وهزئت رأسى فى دهش وساءلت نفسى :
— أهكذا دائما ينجو الآثم الأول ؟

رجل منتقم

ومضت لحظة من التردد والخوف وهو يقبض على
عنق الشيخ ويضع يده على فمه ، خشية ان يكون العابر
الجديد قد أبصره وهو يجذب الشيخ الى داخل القصب •

الليل حالك •• والظلمة شاملة •• والسكون سائد •• والصمت
مخيم •

وما من صوت هناك الا فحيح الريح تدفع امامها اطراف أعواد
القصب ، فتعمل امامها فى أمواج متتالية متتالية •

وبين الأعواد الخضر المتكاثفة •• أخذ شبح يتسلل فى الظلمة
كأنه ذئب يسترق الخطى •

ولو استطعنا ان نكشف حجب الظلام لنستبين ملامحه لراعنا منه
كثير من قسوة ، وكثير من عزم ، وكثير من شroud •

كان الرجل يوشك أن يبلغ هدفه ، هدف العمر الذى طالما حث
الخطى للوصول اليه •• والذى تركزت لبلوغه جهوده وجهود أهله
من قبله ، حتى أوشك هو أن يتم سعيه ولم يبق لتحقيق غرضه الا
النزr اليسير •

أجل ! بعد طول السعى والكد والحل والترحال .. قد وصل
 أخيرا ولم يعد بينه وبين الثأر سوى خطوات معدودات قصار .
 الثأر ! لم يتحرق اليه ؟ ويتلهف عليه ؟ انه يشعر بنشوة من مجرد
 الاحساس بأنه يوشك أن يقدم على تنفيذه ، والشعور بأن الساعة
 المرتقبة قد أزلت ، والأمل المرجو يوشك أن يتحقق .
 ان السنين المتوالية لم تطفئ في قلبه الحارقة المتأججة ، ولا
 استطاع الزمن أن يبزي بالنسيان حزنا دفيناً ، ولوعة كامنة .
 انه يذكر أباه ومصرعه كما لو كان قد حدث بالأمس القريب ،
 يذكر رقدته على حافة القناة بين كوم الغاب والدماء الحارة القانية
 تنزف من جرح في جانبه وتخضب ثيابه وهو يذن أنينا خافتا ،
 وأنفاسه تخرج من صدره ، متحشجة متقطعة .
 وفي صوت متهدج .. سأل أباه الا يترك الثأر .. وأن يقتصر
 من قاتله بيده ، والا يدع دمه يضيع هدرًا .
 وكان يستمع الى أبيه مشدوها مذهولا لا يكاد يصدق عينيه ولا
 اذنيه ، ولم يملك أن يجيبه بغير الانحناء عليه وضمه الى صدره
 محاولا أن يبعد عنه عادية الموت ، سائلا إياه الا يموت ويتركه
 وحده .
 ولكن بعد لحظات لم يجد بين يديه سوى أذن صماء .. وفم
 صامت مطبق .. وأطراف متداعية متراخية .. وجثة مسجاة
 لا حراك بها .
 كأن وقتذاك صبيا غريبا ، ولم يكن له بعد أن ماتت أمه سوى أبيه
 العطوف الحنون ، ولم يكن يطوف بذهنه قط أن أباه يمكن أن يذهب
 عنه هكذا - في مثل لح البصر - ويتركه وحده .
 وأخس بالمرارة تقيض بنفسه .. لقد كان يعلم بالعداوة القائمة
 بينهم وبين أسرة مجاورة ، وكان يعلم أن بين الأسرتين ثارا قديما ،

ولكنه لم يخطر له على بال أن يذهب أبوه الطيب الكريم ضحيته !
ان أباه لم يرتكب اثماً حتى يقع عليه القصاص . ومن الظلم أن
يحمل انسان جرم انسان آخر .

وجلس بجوار الجسد المسجى يبكيه بكاء مرا ، ثم أفاق لنفسه
أخيراً فوجد أن البكاء لن يجدى نفعا . فما هو بمعيد أبيه ، وما هو
بمطفئ حرقته .

شيء واحد . . يستخلص لأبيه حقه . . وهو الذي يمكن أن يهبه
العزاء ، وهو الثار !

انه لن يظلم أحداً كما ظلم أبوه ، ولن يأخذ بجرم القاتل انساناً
بريئاً ، بل سيوقع القصاص على القاتل نفسه !

ونهب من مكانه في عزم وقوة ، ولم تشرق الشمس عليه الا وقد
وارى أباه الثرى . . وطوى في باطن الأرض كل أثر لمصرعه .
وأصبح أهل القرية ، فإذا بثلاثة منهم قد اختفوا من القرية وعفت
آثارهم ، القتل والقاتل والأخذ بالثار . . واحد يثوى ببطن الأرض ،
واثنان يضريان متلاحقان في ظاهرها .

لقد خرج يقتفى أثر غريمه .

ومنذ ذلك الحين وهو هائم شارد ، لا يهدأ له بال ولا يقر له
قرار . . وخرج بنفسه من زمرة الأحياء . . حتى بات كالشبح
السارى أو الروح الضالّة الهائمة .

ومرت السنون ، وهو يضرب هنا وهناك ، في المشرق تارة وفي
المغرب أخرى . . مقبل مرة ، مدبر مرة ، وفي كل خطوة يخطوها
وفعل يأتيه . . ليس له من هدف سوى تعقب آثار غريمه والثار منه .
ولم يكن له من خطة أو تدبير ، فقد كان كل ما يهدف إليه هو أن
يعثر عليه . . أما طريقة الثار فقد كانت عنده سهلة هينة ، لقد كان

مصمما على أن يريده صريحا أينما وحينما يجده ، بلا تفكير
ولا تدبير .

أن كل ما يريده هو أن يشفى غليله بقتله ، أما ما يحدث له بعد
ذلك ، فكان أوقفه من أن يفكر فيه .

أن مصير نفسه لم يكن يعنيه في شيء ، أما مصير غريمه فكان
هو كل شيء . . . أن حياته لها قيمة ، لأنها ستضع حدا لحياة خصمه
. . . أما بعد ذلك ولغير ذلك ، فأنها هباء في هباء .

واستمرت المطاردة يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر وعاما بعد
عام ، والحدق مستعر ، والضغينة متأججة ، لا هدوء ولا سكون ،
ولا نسيان . كل تعب يهون ما دام يقربه من هدفه ، وكل شقاء وشظف
في العيش يحتمل ما دام يدنيه من بقيته .

وأخيرا . . . وبعد طول صبر وأناة ، ورحيل ومهاجرة بلغ الهدف .
أو قل أصبح منه قاب قوسين أو أدنى .

لقد وجد الغريم في النهاية بعد مضي هذه السنين الطويلة شيئا
وأهن العظم أشيب الشعر . . . ولكنه كان هو . . . هو الأمانة
المنشودة ، والهدف المقصود ، الذي أجج الحقد ، والهيب البغضاء . . .
المجرم القاتل ، الذي أربى أباه صريعا مضرجا بدمائه ، والذي أفقده
يافع عمره وأرقده بلا ذنب جثة هامة بين الثرى .

لقد لقيه أخيرا بعد طول جهد وكثير مشقة وعناء ، وكان قمينا ،
وهو المتحرق شرقا الى الثار ، بأن يريده قتيلا في ساعته . . .
ولكنه لم يفعل !

لم يفعل ، وهو المتعجل المتلهف الذي كان يأكل صدره الحقد ،
والذي لم يكن يبغى الا قتل غريمه بلا خطة ولا تدبير ولا تفكير في
الهروب .

لم يفعل ٠٠ وهو الذى كان لا يعنيه مصيره فى شيء ٠٠ بل
 كان مصير خصمه - أو انتهاء مصيره - هو كل شيء ٠

لم يفعل لسبب واحد ، وهو أن مصيره هو قد أصبح يعنيه !
 لم يفعل ، من أجل الأعين النجل ٠

الأعين النجل ! وجدائل الليل ! والوجه القمر ٠

كل ذلك قد جعله يعنى بمصيره ، وجعل لحياته قيمة ٠

لو لم يصادفها قبيل النهاية لكان كل شيء قد انتهى ولكان القاتل
 قد لقى حتفه ٠ ولكان هو يقف فى شجاعة وهدوء ليقول للملا :
 « أنا الذى قتلته لأنه قتل أبى ٠٠ لقد أخذته بذنبه ، وأخذ هو أبى
 بلا ذنب ٠٠ افعلوا بى ما شئتم ، خذوا حياتى ، فقد فعلت بها
 ما أردت ٠٠ أما ما تبقى فما عاد يعينى فى شيء ، »

لقد كان حريا بأن يفعل ذلك ، ويقول ذلك ٠٠ أما الآن وقد لقيها
 ٠٠ أما الآن وقد أضحى ما تبقى من حياته يعنيه كما عناء ما سلف
 منها ٠٠ أما الآن ومصيره لم يعد ملكه بل أضحى ملكهما معا ، فقد
 كان أجبن - أو أعقل - من أن يفعل ٠

لقد كان عليه أن يتروى ويتأنى ٠

إن الثأر لا بد منه ، وقد بات فى يده ، ولكنه لم يكن هناك مبرر
 لأن يلقي بنفسه الى التهلكة ، إذا كان يستطيع أن يبلغ أمنيته وهو فى
 مأمن ، ويردى خصمه وهو بمنجاة من العقاب ٠

كان الأمر سهلا ٠٠ فقد كان يستطيع أن يتصيد غريمه فى حلقة
 الليل وهو عائد وحده الى داره بعد أن عرف مواعده وعرف خط
 سيره وطريق مروره ٠

كان عليه أن يختبئ بجوار الساقية القديمة وسط أعواد القصب
 المتكاثفة ٠ فإذا ما مر به الرجل فى الطريق الضيق الذى يمر وسط

حقل القصب ، فليس عليه الا ان يمد يده فيمسك بعنقه ويضغط على
حتى يكتم انفاسه ثم يلقي به فى الساقية القديمة الخربة .

وينطلق بعد ذلك لينعم معها بحياة هادئة ناعمة .

ودنت الساعة الرهيبة التى طال به انتظارها ، وأقبل الليل يرخى
سدوله على الجريمة التى توشك أن تقع ، وسار متسللا بين أعواد
القصب . وقد طافت بذهنه كل الذكريات الزاهية ، وتراءت له عينا
أبيه الخابيتان وصوته المتهدج يدعو للنار ، وتراءت له بجوارهم
الأعين النجل ، والصوت الناعم يدعو لان يتفرق بنفسه . . وأن
يذكر أن مصيره ليس ملكه .

واقترب من الساقية . . وخفق قلبه . . وهو الشجاع القوي . .
وارتجفت أطرافه وهو الصلب الجريء ، الثابت الجنان ، وهبت
الريح فبعث فحيحها فى نفسه نوعا من الهلع لم يدر علته ، ولكنه
تمالك وتماسك ، وهذا من روعه ، وأزال من رهبته .

وجلس بين الأعواد الخضر يرقب وينتظر .

وزاده الانتظار قلقا ورهبة ، ولكنه عاد يطمئن نفسه .

بضع دقائق أخرى ويستريح من عبئه . . بضع دقائق ويفى
بوعده لأبيه . . ويجعله يستريح فى قبره . . بعد طول انتظار .

لقد بات الطير فى يده ، ولم تعد هناك قوة على الأرض تستطيع
أن تجعله يفلت من مصيره المحتوم .

وأخذت الدقائق تمر طويلة مملة حتى خيل اليه ان الرجل قد
عدل عن العودة أو غير طريقه .

ومد رأسه من خلال القصب يستطلع الطريق ، ولكن الظلمة كانت
حالكة ، وكان موقفه بجوار الساقية فى منحنى الطريق ، فهو
لا يستطيع أن يبصر القادم الا بعد أن يلف مع الطريق ، ويصبح على
قاب شبرين أو أدنى . .

وفجأة سمع وقع أقدام تقترب فأخفى رأسه بين الأعواد وأخذ الى
 الصمت حتى كاد يوقف أنفاسه •
 وازدادت الخطوات اقترابا ، خطوات متناقلة تصحبها عصا هي
 يلا شك عصا الشيخ •
 أجل ! أجل ! انه هو بعينه ••
 وأخيرا وصل الشيخ قبالته ، وتحقق هو من وجهه ومشيته •
 وفي خفة الثعلب مد يده فقبض بها على عنقه ثم جذبته الى الداخل
 واضعا اليد الأخرى على فمه •
 وقبل أن يبدأ فى الضغط على عنقه ، وصل الى اذنه صوت أقدام
 أخرى •• أسرع سيرا وأخف وقعا ، كان هناك من يريد اللحاق
 بالشيخ •
 ومضت لحظة من التردد والخوف وهو يقبض على عنق الشيخ
 ويضع يده على فمه ، خشية أن يكون العابر الجديد قد أبصره وهو
 يجذب الشيخ الى داخل القصب •• ولكنه سرعان ما تغلب على تردده
 وخوفه ، وصمم على أن ينجز مهمته فى حزم وسرعة •
 وبدأ فى الضغط والخطوات تزداد اقترابا ، حتى بدا وكأنها
 اجتازت منحنى الطريق وأنها قد شارفت مكنها •• وفجأة سمع
 صوتا نسائيا ناعما يشق أجواز الفضاء ، ويصيح مناديا فى لهفة :
 - آبا •• آبا !
 وبدأ كأن صاحبة الصوت كانت تسير وراء الشيخ محاولة اللحاق
 به ، وأنها افتقدته فجأة ، وتبينت اختفائه بعد منحنى الطريق ،
 فصاحت تناديه •
 ووقع الصوت فى مسعاه وقعا مخيفا مروعا ، لا مجرد احساسه
 بأنه صادر من ابنة تستدعى آبا يوشك هو أن يرديه صريعا ••
 ولا لأن الصوت كان مفاجئا وسط ذلك السكون المخيف ••
 بل لسبب أكبر من هذا •

لقد كان الصوت ، صوتا مميزا عنده ، صوتا لا يخطئه ، كان صوت الأعين النجل ٠٠ ذلك الصوت الناعم الرقيق ٠٠ الذى كان يدعوه دائما لأن يترفق بنفسه ويذكر أن مصيره لم يعد ملكه !
لقد كان الصوت الآن يدعوه لأن يترفق بغريمه وأن يهبه مصيره بعد أن أصبح فى يده ، ويترك الثأر الذى أمضى العمر فى الجرى وراءه !

ومضت لحظة وهو قابض على عنق الرجل ٠٠ ورويدا رويدا بدا ضغط أصابعه يخف ، واستطاع الرجل أن يتنفس وأن يتكلم ، فصرخ مستنجدا بابنته :

واندفعت الابنة لتنجد أباه .

وقف الاثنان وجها لوجه ٠٠ وما زالت أصابعه قابضة على عنق الشيخ ٠٠ وما زال ذهنه حائرا يتخبط بين ثأر أبيه ، وبين الأعين النجل المتوسلة اليه .

لم يكن فى استطاعته التحدث ٠٠ فلقد بهره صوتها ٠٠ وسحرته عيناها .

وترك الشيخ يفلت من يده .

ونظر الى الفتاة وقال هامسا :

— كنت أعتقد أنه ما من قوة على الأرض تستطيع أن تنجى قاتل أبى من قبضة يدى ٠٠ أو أن تثنيى عن أخذ الثأر ٠٠ ولكنى لم أكن أعرف قوة تلك الأعين النجل ، عندما تتوسل ، ولم أكن أظن أننى سأصبح يوما من قوم الشاعر القائل :

نحن قوم تذيبنا الأعين الذل جل على ائنا نذيب الحديد
وهكذا جرف تيار الحب صخور البغضاء ، وعفا صاحب الثأر عن غريمه وعنقه بين أصابعه .

وتزوج الرجل ابنة غريمه ٠٠ ووضع حدا لخصومة دهر وعداوة عمر

رجل قاتل

لا اظننى بمستطيع ان اصف لك الصدمة المبروعة
التي اصابتنى بعد ان قرأت خبر انتحارها •
وانى لا اخشى ان اتهم بشيء فلا اظن ان هناك من
سيفكر فى القاء التهمة على •

هل انا المجرم الاول ؟

و « انا » هذه بالطبع غير عائدة على •• فما انا بمجرم اول
ولا ثان ولا ثالث •• وما كانت لى بالجريمة المعروضة اية صلة ••
سوى صلة العرض والنصح •

اما صاحب الرسالة •• وصاحب السؤال ، وصاحب الجريمة ••
فهو الاخ « ع • ح » الطالب بأحد المعاهد الأمريكية •

ولقد كتب الى من امريكا •• ليطلب المشورة ، ولحت على الظرف
طابع بريد الولايات المتحدة وختم بريد بنجامتون •• ولست ادرى
جنسيته بوجه التحديد •• وان كنت أرجح انه عراقى •• فقد كتب
الى خطابه بتاريخ (٥ اب ١٩٥٠) وأنا دائما يصلنى من اهل العراق

خطابات مؤرخة بآب وأذار وغيرها من الشهور المحيرة التي حاولت حفظها عبثاً .



وقرأت رسالة الأخ وتوقفت أمام الخاتمة التي قال فيها :
 « كم أتمنى أن تجيبني على سؤال يكاد يكتم أنفاسي ويرهق
 حواسي . هل أنا المجرم الأول المسؤول عن مصرعها ؟ أم أن دوري
 لم يكن سوى دور ثانوي . جعلته المصادفات يبدو رئيسياً ودفعته
 الظروف الى أن يحتل فيها مكان الصدارة ؟ ! اجبني صراحة فاني
 أرزح تحت عبء من الشك ثقيل مخيف ينوء به كاهلي وينقض به
 ظهري . »

لن أعطيك عنواني . فلست أريد رداً خاصاً . بل دعها تكون
 قضية عامة يشترك فيها قراؤك . . . ولا أظن هناك مانعاً لدى من نشر
 كل ما كتبت لك . . ومع أي تحوير أو تصليح تود اجراءه بشرط
 واحد ، وهو أن تبقى على أساس القصة . »

ولست أظنني الا مجيباً الأخ الى مطلبه في نشر رسالته بلا تحوير
 ولا تعديل . . اللهم الا اضافة بعض التفاصيل ، التي تشوق القارئ ،
 والتي أبي هو ذكرها في رسالته المقتضية خوفاً من الملل .

ولقد اعتمدت في روايتها على التجارب والخيال . . فعسى ألا
 أكون قد جانببت الحقيقة . . فان كنت . . فليعذرني . . وليعتبر هذه
 الاضافة من باب التحوير والتعديل الذي سمح هو به ، وليتفضل بعد
 ذلك مشكوراً - ان كان ينوي ان يقدم على جريمة أخرى - أن يرسل
 لي كل التفاصيل عن جريمته الجديدة ، وليتفضل كذلك كل قارئ
 غيره يسألني عرض قضيته ويطلب الشورى أن يذكر هذه التفاصيل
 التي قد يعتبرها تافهة بلا خوف من ملل أو خشية من اسهاب .



سأكتب لك قصة حقيقية جرت حوادثها لغريب فى أمريكا ووضع
القدر خاتمتها منذ أيام قلائل ٠٠ أو يبدو أنه قد وضعها ، وإن كان
الشك يساورنى فى أنه ما زال لها بقية .

إنها قصة طالب من الشرق وفتاة من الغرب ، ألف بينهما ما لا
يقف فى سبيله شرق ولا غرب ٠٠ ولا يعترف بتقاليد ولا أجناس
ولا أديان .

ألف بينهما جامع جارف جبار . جامع من الهوى . جارف من
الغرام . جبار من الحب .

لقيتها ذات مرة ٠٠ كيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟
وماذا تم هذه الأشياء التافهة القيمة بالنسبة للقاء فعلا ٠٠ ؟
إن الزمن والمكان والظروف لم تعد لها قيمتها فى حب العالم
الجديد ٠٠ العالم الصاحب السريع .

لم ألقها بالطبع فى روضة غناء فيحاء ، ذات ليلة هادئة النسيم ،
خفاقة النجوم ، يسترق القمر فيها الخطى خلف منثور السحاب
فيرسل أشعته فضية متقطعة .

لم ألقها بين عبق الزهور وشدو الطيور وحفيف الورق وترنيم
الورق !

لم ألقها بين شيء من هذا كله ٠٠ فلا فجر ولا سحر ولا طير ولا
زهر ، ولا أى أثر لهذه الأشياء التى تخرج بها جوك الشاعرى فى
قصصك الغرامية .

لم ألقها فى جو شاعرى ٠٠ بل لقيتها فى جو عادى ملء
بالصخب والضجيج والزحام والمارة والحركة والأصوات المتناغرة .
ومع ذلك فقد أزهقت مشاعرنا ٠٠ تماما كما لو كان اللقاء فى
الروضة تحت القمر وبين الزهور .

إن كل هذه أشياء مساعدة أما الأصل ٠٠ أصل الهوى والجوى

فكامن فى الصدور راقد بين الحنايا ، ولو وضع العشاق فى الجحيم
لما كفت قلوبهم عن الحب .

قرب اللقاء العابر بيننا .. بأسرع مما يتصور انسان .. فقد
صادف كل منا هوى فى نفس صاحبه ، وكأننا قطبان مغنامليسىان
متضادان .. لم يكادا يتقاربان حتى اندفع كل منهما تجاه الآخر .
وافترقنا على موعد .. ثم التقينا فى الموعد .. وقضينا معا فى
نيويورك يومين وليلتين لم يشعر أحدهنا خلالهما أنه يصاحب غريبا
فرقت بينهما المولد والنشأة والتربية والجنس والدين .. ولم يلتق
واياه بالأمس القريب .. بل كان يحس كل منا لصاحبه أنه رفيق
عمر وزميل صبا .

لقد قضينا معا فترة مليئة بالبشر ، حافلة بالانس والمتعة ، فترة
مختلصة من السعادة ، مسروقة من النعيم .. نلت خلالها من الفتاة
أقصى ما يريد رجل من امرأة ثم عدت بها فى النهاية الى بلدتها وأنا
متخم ريان .

ولا أكذبك القول اذا ما قلت لك انها لم تكن المغامرة الاولى ،
بل ان مجرد قولى عنها مغامرة يعتبر مغالاة فى القسول . فهذه
النزهات مع الفتيات الأمريكيات كانت أشياء طبيعية متكررة دائمة
الحدوث . وكنت أقضى معهن يوما أو يومين ثم أعود بهن الى دورهن
أو بلدتهن . فأودعهن وينتهى بعد ذلك كل ما بيننا ونفترق كان لم يكن
بيننا لقاء ولا صلة .

لقد كانت صحبتى لهن دائما تنتهى بفرقة عاجلة .. فأنى بطبعى
سريع الملل .. لا اكاد أنال منهن ماربى وأقضى وطرى حتى يضيق
صدرى بهن ، وتتملكنى السامة من صحبتهن فأسرع بفراقهن .
أما هذه .. فلدهشتى الشديدة .. لم تكن كالسابقات .
لقد لقيتها كما لقيتهن .. وفعلت بها ما فعلت بهن .. ومع ذلك

فما ضاق صدرى بها ولا أصابنى منها ملل ولا سامة ٠٠ ولولا رغبته
فى العودة لما رضيت بفرقتها ٠

على النقيض ٠٠ انى لم أكد أنال منها ما نلت ٠٠ حتى ازدادت
رغبتي فيها ، واشتدت لهفتى عليها ٠٠ واستعر فى قلبى الشوق
وتأجج الجنين ، ولم أفارقها الا وأنا كاره للفرقة مشفق على نفسى
منها ٠

وودعتها مرغما ٠٠ ودعتها جسدا ٠٠ ولكنى لم أودعها قلبا ولا
ذهنا ٠٠ فقد أبت صورتها أن تفارق ذهنى ٠٠ وأبى رسمها أن يودع
قلبى ، وظلت على البعد باقية حاضرة تلح ذكراها على نفسى ٠٠
ويملا طيفها رأسى ويملك تفكيرى ٠

ووجدتني أفكر فى مسألتيها تفكيرا جديا ، واسمر بها فى هذا
التفكير عن كل من لقيت من غيرها من صاحبات العبارات ، وأجعل
منها نسيج وحدها . ويزداد بى التفكير يوما بعد يوم ٠٠ ويشد
الحب والشوق ٠٠ وتزداد خطوط رسمها عمقا فى قلبى وفى ذهنى
حتى تبين وكأنها جزءا منى لا يتجزأ . وتصبح لدى شيئا حيويا ،
وانتهى بى الأمر الى أن تركز تفكيرى فى نقطة واحدة ٠٠ وهى
الزواج ٠

أجل لقد سموت بها فى تفكيرى ٠٠ حتى وضعتها منى موضع
«ريكة العمر ٠٠ وتوأم النفس ٠

وذهبت الى بيتها بعد أن عقدت النية على التقدم لخطبتها ٠
وفى بيتها لقيتني مرحبة هاشة باشة ٠٠ وقدمت الى شابا فى
ثياب جنود فرقة ال « مرنه » ٠

قدمته الى على أنه فتاها ٠٠ أو كما يقولون هنا : عشيقها ٠
وباستفسار بسيط علمت أنها تعرفه منذ شهور طويلة . وأنهما
متفقان على الزواج منذ زمن ٠

واحسابتنى من قولها صدمة شديدة ٠٠ واحسست فى صدرى
خليط صاخب من الغضب والغيرة والفجعية والياس ٠

وقد آكون خاطئا فى غضبى وفى فجيعتى ٠٠ وقد تكون المسألة
برمتها شيئا طبيعيا ٠٠ كان يجب أن أنتظره وأتوقعه لا سيما ونحن
فى بلد التحرر والانطلاق ٠٠ ولا سيما وأنا نفسى انال ما اناله من
الفقيات بمنتهى السهولة ٠

ولكن ماذا أقول للقلب الأحق المجنون ٠٠ الذى أبى الا أن ينطلق
وراءها ويتشبث بها ٠٠ ويجعل منها شيئا ملكا له خاصا به ؟ !

ماذا أقول فى النفس اللهفى والذهن المخدوع الـ اهل ٠٠ الذى
أبى الا أن يصور منها مخلوقة سامية لم تقع الا فى حباله ولم تفرط
الا له ؟

لقد كانت الصدمة شديدة والطعنة قاسية ٠٠ لا لأن الفتاة ظهرت
لى بما لا يجب أن تكون عليه ٠٠ بل لأنها ظهرت لى كما لم يصورها
به الذهن ٠٠ انها هدمت قصور أوهاى ٠٠ وقوضت عرش أمانى ٠٠
وخذلت مشروعاتى خذلانا شديدا ٠

ولم أفاتها بالطبع فى خطبة ولا زواج ٠٠ بل مكثت عندها هنيهة
واجما مطرقا شاردا ٠٠ ثم ودعتها وانصرفت ٠

وعدت الى دارى مثقل النفس بالهموم والأحزان ، متعب الذهن ،
مكروب الصدر ، وقضيت الليل مسهدا أتململ على الفراش أفر
جوى ووجدا ٠

وفى الصباح استقر بى الرأى على أن ألقى تلك الجمرات التى
تتأجج فى صدرى ، وأن أذهب اليها فأضئ اليها بكل ما فى نفسى
وألقى اليها برأى فيها ٠٠ والطمها كما لطمتنى ٠

وذهبت اليها ٠٠ فلقيتنى بنفس البشاشة والترحيب ، وخلوت بها ،

وبدأتني بالسؤال عن سبب ذلك الحزن والوجوم البادى على وجهى
فقلت لها فى صوت مرتجف :

- أنت السبب -

- أنا ؟

- أجل أنت -

- انى لا أذكر انى فعلت ما يفضبك !

- بل فعلت ما مزقنى وحطمنى .. لقد خدعتنى وغررت بى ..
لقد بدوت لى أسمى واطهر وأجمل قلبا من سواك .. فوجدت نفسى
أتردى فى هاوية حبك وأتشبث بك تشبث غريق بلوح من حطام سفينة
.. وأتعلق بك تعلق مجنون .. لقد غررت بى فى اليومين اللذين
صحبتك فيهما ومنحتنى ما ظننت أنك خصصتني به وحدى ، وبدأ لى
أنك أحببتنى كما أحببتك ولم يخطر ببالى أنك مخطوبة توشكين على
الزواج .. حتى أتيت بالأمس لأسألك الزواج منى ، ولكنى وجدت
أننى كنت عندك مجرد أداة لهو وتسلية .. وأن صحبتك لى كانت
أحدى الخيانات المتكررة التى تهدينها الى فتاك المحبوب وخطيبك
العزيز .. لقد جئت لك حقيقة رأيى فيك ولأعتذر لك عن الحمق
الذى دفعنى الى أن أتوهمك بتلك الصورة التى توهمتك بها .. وعن
الغرور الذى دفعنى الى أن أجعل منك نسيج وحدك .. وشيئا نقيًا
غير هذه القذارة التى خلقت منها أثبت وسواك .

وبهتت الفتاة ، ولم تنبس ببنت شفة ووجدتها تطرق برأسها ،
وخيل الى انى الملح فى عينيها طبقة من الدموع تترقق
أقول خيل الى .. فقد يكون ما رأيت سراب مخدوع .
وغادرتها بلا كلمة .. ولا تحية .

وسرت فى الطريق ، وأنا شاعر بأنى قد ألقيت عن كاهلى ما أثقله،
وعن صدرى ما أحرقه وأججه .

أجل ! لقد انتهى أمرى معها ، واستطعت أن ألفظ حبها مع
الجمرات التى لفظتها من صدرى .

وتركت المدينة ذلك المساء عائدا الى مكان دراستى .. موقنا بأن
القصة قد وصلت الى نهايتها ، وانى وضعت بثورتى عليها خاتمة
لها ، ولكنى استيقظت فى الصباح لأقرأ فى احدى جرائد نيويورك ..
ان الفتاة (ا . س) وعمرها تسع عشرة سنة من كلية شيديور قد
انتحرت باطلاق النار على نفسها فى الساعة السادسة من صباح
الأمس أى بعد مغادرتى اياها بمدة لا تتجاوز الاثنى عشرة ساعة ..
وقيل فى خبر الانتحار أن الأسباب لا تزال مجهولة ، ولكن المعتقد أنها
متعلقة بخلاف مع أحد أصحابها العديدين وقد أصيبت بعده بنسوبة
يأس جعلتها تقدم على الانتحار .. وقد وجهت الصحيفة نداء الى
كل من زارها أو قابلها فى اليوم السابق للانتحار للاتصال بالمحقق .
ولا أظننى بمستطيع أن أصف لك الصدمة المروعة التى أصابتنى
بعد أن قرأت الخبر .

وانى لا أخشى أن اتهم بشيء .. فلا أظن أن هناك من سيفكر فى
القاء التهمة على .. بل لا أظننى سأخطر قط ببال احد ممن حولها ،
فما كانت علاقتى بها فى نظرهم سوى علاقة عابرة طارئة .
ليس هناك أحد يمكن أن يتهمنى .. الا انسان واحد هو أنا .
انا يا أخى حزين ونادم ويائس .

حزين عليها لانى ما زلت أحبها .. لقد تبدد من نفسى كل غضب
عليها .. بعد أن ذهبت من دنيانا هذه .. وأصبحت أتلطف على
رؤيتها وتقبيل يدها مرة واحدة .. وأتمنى أن أجثو على جدثها
فأذرف عليه الدمع مدرارا .

ونادم .. لانى أشعر بينى وبين نفسى .. اننى السبب فى موتها
أتراد الغرور الذى يدفعنى الى هذا الاحساس ؟

أتراها كانت تحبني وأناى نزلت من نفسها منزلة من يدفعها غضبه
عليها الى الانتحار ؟

مهما يكن الأمر .. ومغرورا كنت أم غير مغرور .. فان ندمى
شديد لأنى واثق من أنه حتى ولو لم أكن الوحيد فى حياتها الذى
وهبته نفسها ، والذى فتحت له قلبها ، فاننى كنت الوحيد الذى
صدمها برأيه فيها .. والذى واجهها بحقيقة صورتها .
وأنى يائس .. لأنى لا أستطيع أن أفعل شيئا .

فلا أنا بمستطيع اعادتها الى حياتها .. ولا أنا بمستطيع أن اسلو
حبها وأنساها .. ولا أنا بمستطيع أن أكفر عن خطيئتى .. بل ..
حتى هذه الخطيئة ...

لست بمستطيع أن أقنع بها نفسى .

هل أخطأت ؟

هل كنت السبب فى قتلها ؟

هل كانت ثورتى عليها. هى التى أودت بها ؟

هل ترانى كنت حقا شيئا هاما الى هذه الدرجة ؟

هل أنا المجرم الأول ؟

أجبنى يا سيدى .. انى حائر تعس .

أكره أن أكون المجرم .. وأحب أن أكونه .

أكره أن أكون المجرم .. لأنى أكره الاجرام .. ولأنى أكره أن

أكون السبب فى قتل هذه النفس الحلوة التى شغفت بها حبا .

ولكنى أعود فأتعنى أن أكون المجرم .. أتمنى أن أكون حقا

الانسان المهم فى حياتها والذى أحبته الى الدرجة التى يدفعها غضبه
عليها الى الانتحار .

أتمنى أن أكون كذلك .. حتى أيقن أنها كانت تحبني ، والا يكون

انتحارها من أجل مخلوق آخر فى حياتها ٠٠ لا أعلم عنه شيئاً ٠٠
والا أكون لديهم الا نسيا منسيا ٠
أجبنى يا سيدى ٠٠ أرحنى !
هل أنا المجرم الأول ؟
ليقنى اكونه ٠

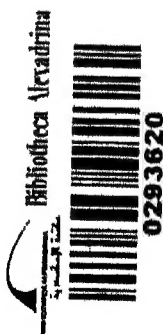
المخلص

ع ٠ ح

★ ★ ★

يا أخى ماذا أقول لك ٠٠ وأنت تتمنى أن تكون مجرماً ٠٠ حتى
ترضى غرورك وكبرياءك ؟
خل عنك أو هامك ٠٠
أرح نفسك وانسها ٠٠ غفر الله لك ٠٠ ولها ٠ والمجرم الحقيقى ٠

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البجالة



الشنن ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سميد جوده السحار وشركاه